القسم الأول

تهيئة وإعداد الوالدين لتربية الطفل

الفصل الأول : التهيئة للزواج والإنجاب .

الفصل الثانى:التهيئة والإعـداد للوالـدين بالأسـاليب التربوية النبوية للطفل .

الفصل الأول

التهيئة للزواج والإنجاب

تعريفات عنوان الكتاب

١ ـ مَنهج ـ بفتح الميم وكسرها :

الطريق الواضح ، والخطة المرسومة ، ومنه :منهاج الدراسة ،ومنهاج التعليم ، ونحوهما ،وجمعه: مناهج [١] .

٢ ـ التربية :

لأصل معنى التربية ثلاثة معان :

الأول : رَبَا يَرْبو ، بمعنى : زاد وَنَما .

الثاني : رَبَا يَرْبى ، على وزن : خفى ، يخفى ، ومعناها : نشأ وترعرع .

الثالث : رَبَّ يَرَبُّ ، على وزن مدّ يمدّ بمعنى : أصلح وتولى الأمر ، وقال البيضاوى فى تفسيره : الرّبّ فى الأصل ، بمعنى التربية ، وهى :تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً ؛ ثم وُصف به تعالى للمبالغة . أما الراغب الأصفهانى

فقال فى كتابه «المفردات» : الربّ فى الأصل : التربية ، وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام [٢] .

مما سبق يمكن القول :

التربية : عملية بناء الطفل شيئاً فشيئاً إلى حدّ التمام والكمال .

وقد جمعنا المعنى اللغوى للتربية بكلمة بناء ؛ لأنها تعنى بذل الجهد ، ووضع

---

(١) المعجم الوسيط .

(٢) أصول التربية الإسلامية وأساليبها للنحلاوى (ص ١٢) .

الشيء في مكانه ، ومتابعة النظر إليه ؛ بالرعاية والإصلاح بعيداً عن الإهمال .

وشيئاً فشيئاً : على سبيل التدرج ، وأنَّ ما يصعب تحقيقه اليوم ، يمكن أن يتحقق غداً.

وإلى حدّ التمام والكمال : هو الحد الذى يصل فيه الطفل إلى أن يتمسك بشرع الله من ذاته ، ويحاسب نفسه بنفسه ، ويراقبها ، ويتابع تربية نفسه : بتلاوة القرآن ، والتمسك بالشرع الحنيف .

٣ ـ النبوية :

المقصود بها : كل ما صدر عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير يخص مرحلة الطفولة .

٤ ـ الطفل:

(الطفل) الولد حتى البلوغ ، ويستوى فيه المذكر والمؤنث ، والجمع أطفال [١] .

والمقصود بمرحلة الأطفال من الولادة إلى البلوغ ، فمرحلة البداية تبدأ بالطفولة لقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾ [الحج : ٥] .

ومرحلة النهاية تبدأ بالبلوغ؛ لقوله تعالى :﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [النور : ٥٩] .

غلمة : فِتية – جمع غلام ، وهو الطارّ الشارب ، أى : صبيان،وقال الزمخشرى : والغلام هو الصغير إلى حدّ الالتحاء ،فإن قيل بعد الالتحاء فهو مجاز [٢] .

الصِّبيان : قال النووى – رحمه الله : الصِّبيان بكسر الصاد ، هذه اللغة المشهورة، وحكى ابن دريد ضَمَّها [٣] . وجاء فى «مختار الصحاح» : الصَّبى : الغلام.

---

(١) المعجم الوسيط .

(٢) فيض القدير (٦/ ٣٥٤)، وانظر: التفسير الكبير للرازى (٢١/ ١٥٥) .

(٣) شرح صحيح مسلم ، باب : حكم بول الطفل الرضيع وكيفية غسله .

والجمع : صبية وصبيان . والجارية : صبية ، والجمع : صبايا مثل : مطية ، ومطايا.
وقال ابنُ نجيم فى «الأشباه والنظائر»[1] فى باب أحكام الصبيان :

هو جنين ما دام فى بطن أمه ، فإذا انفصل ذكراً فصبى ، وسُمِّى رجلاً كما فى آية المواريث[2] إلى البلوغ ، فغلام إلى تسع عشرة ، فشاب إلى أربع وثلاثين ، فكهل إلى إحدى وخمسين ، فشيخ إلى آخر عمره ، هكذا فى اللغة .

وفى الشرع: يسمى غلاماً إلى البلوغ ؛ وبعده شاباً ، وفتى إلى ثلاثين ، فكهل إلى خمسين ، فشيخ .

(١) غمز عيون البصائر شرح كتاب الأشباه والنظائر للحموى (٣/ ٣٠٩) ، طبع بيروت .
(٢) يسمى رجلاً كما فى آية المواريث ، يعنى : مجازاً كما يفيده كلام العلامة ابن حجر فى شرح البخارى فى باب: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ ﴾ [النور : ٢٧] كما فى القاموس. (المصدر السابق) .

تمهيد

«الطفل أول ما يَرى من الوجود منزلَه وذويه ، فترتسم فى ذهنه أولُ صور الحياة، مما يراه من حالهم ، وطرق معيشتهم ، فتتشكل نفسه المرنة ، القابلة لكل شىء ، المنفعلة بكل أثر بشكل هذه البيئة الأولى، يقول الإمام الغزالى : الصبى أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة ساذجة ، خالية من كل نقش وصورة ؛ وهو قابل لكل ما نقش ، ومائل إلى كل ما يمال إليه ، فإن عُوّد الخير وعُلِّمه نشأ عليه ، وسعد فى الدنيا والآخرة أبواه ، وكل معلم له ومؤدب ، وإن عُوّد الشّر ، وأهمل إهمال البهائم،شقى وهلك ، وكان الوزر فى رقبة القَيّم عليه ، والوالى له . يقول رسول اللهﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة ، وإنما أبواه يُهَوِّدانه أو يُمَجِّسانه أو يُنَصِّرانه»(١) وإلى هذا أشار أبو العلاء بقوله :

وينشأ ناشئ الفتيان منا ... على ما كان عوّده أبوه

وما دان الفتى بحجًا ولكن ... يُعَوِّده التَّدَيُّنَ أقربوه

وإذا كان للمنزل كل هذا الأثر فى حياة الطفل ، وجب تحقيقاً للغاية السابقة ، أن يحاط بكل ما يغرس فى نفسه روح الدين والفضيلة»(٢) .

«إن أطفال اليوم هم اللبنات الرطبة التى يشاد على كاهلها فى المستقبل بناء المجتمع ، هم رجال الغد ، وبقدر ما يبذل فى تربيتهم وتقويتهم بقدر ما يكون للأمة من مكانة وعزة . وبقدر ما يهملون ، فتتمكن من قلوبهم أساليب الانحراف ، بقدر

---

(١) فالأب والأم عنصران مهمان ، وإرسالهما لطفلهما إلى المدارس الخاصة - باسم التعلم والعلم - إنما هو هلاك للولد إن لم يتنبه والداه عليه ، كما أن إهمالهما إنما هو طريق لإهلاكه - والعياذ بالله .

(٢) رسالة «أنجع الوسائل» .

ما يكون للأمة من اختلال ، وضعف فى القوى الموجهة لها ، القائمة بشؤونها»[1] .

١ - مسؤولية التربية :

«أيها الكفيل ، إذا ألقيتَ مسؤولية الطفل فى مراتع وخيمة ،أخشى أن يُضاعف لك العذاب ضعفين ، تُعذَّب على تشويه تلك الجوهرة المكرمة عذاباً نكيراً، وتحوز من تلك الجناية العامة نصيباً مفروضاً»[2] .

لهذا نجد الرسول ﷺ يُحَمِّلُ الوالدين مسؤولية تربية الأبناء مسؤولية كاملة.فعن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته ،الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع فى أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسؤولة عن رعيته » متفق عليه. حتى إن الرسول ﷺ يضع قاعدة أساسية مفادها أن الابن يشب على دين والديه ، وهما المؤثران القويان عليه .

أخرج البخارى عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «ما من مولود يولد إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يُهودانه أو يُنصرانه أو يُمجسانه ، كما تنتج البهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء ؟» ثم يقول أبو هريرةﷺ: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ [الروم : ٣٠][3].

وإن الله تعالى أمر الوالدين بتربية الأبناء ، وحضّهم على ذلك ، وحمّلهم

---

(١) انظر : من توجيهات الإسلام للشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر سابقاً رحمه الله تعالى - ص ١٦٠ ، طبعة دار الشروق القاهرة ، ط٧ .

(٢) السعادة العظمى (ص ٩٠) للشيخ محمد الخضر حسين رحمه الله .

(٣) رواه البخارى :كتاب (٢٣) باب (٨٠ و٩٣) وكتاب (٦٥) سورة (٣٠) ، وكتاب (٨٢) باب (٣) ورواه مسلم : كتاب (٤٦) حديث رقم (٢٢ - ٢٥) وسنن أبى داود كتاب (٣٩) باب (١٧) والترمذى: كتاب (٣٠) باب (٥) والموطأ : كتاب (١٦) حديث (٥٢) ومسند أحمد : الجزء الثانى من (٢٣٣ و٢٥٣و٢٧٥و٢٨٢و٣١٥ و ٣٤٦و ٣٩٣و ٤٧٠و٤٨١) والجزء الثالث (ص ٣٥٣ و٤٣٥) ، والجزء الرابع (ص ٢٢) انظر: مفتاح السنة (ص ٥٣٥) .

مسؤولياتها بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦﴾ [التحريم].

عن علي بن أبي طالب ﷺ في قوله عز وجل: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦] قال: علموا أنفسكم وأهليكم الخير. رواه الحاكم في مستدركه (٤/ ٤٩٤) وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

قال الفخر الرازي في التفسير[1]: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [التحريم: ٦] أي: بالانتهاء عما نهاكم الله عنه.

وقال مقاتل: أن يؤدب المسلم نفسه وأهله، فيأمرهم بالخير، وينهاهم عن الشر. وقال في «الكشاف»: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [التحريم: ٦] بترك المعاصي وفعل الطاعات، وأهليكم بأن تؤاخذوهم بما تؤاخذون به أنفسكم.

فلا بد من بذل الجهد، والعمل الدؤوب، في إصلاح الأطفال، وتصحيح أخطائهم على الدوام، وتعويدهم الخير، وهذا سبيل الأنبياء والمرسلين؛ فلقد دعا نوح ابنه إلى الإيمان، ووصَّى إبراهيم بنيه بعبادة الله وحده؛ وهكذا.

وقد ذكر الإمام النووي في كتابه «بستان العارفين»[2] عن الشافعي، عن فضيل قال: قال داود النبي ﷺ: «إلهي! كنْ لابني كما كنتَ لي! فأوحى الله تعالى إليه: ياداود! قُل لابنكَ يكن لي كما كنتَ لي، أكنْ له، كما كنتُ لك».

لذلك قرر الإمام الغزالي- رحمه الله - في رسالته: «أيها الولد» إن معنى التربية يشبه عمل الفلاح الذي يقلع الشَّوْك، ويخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع، ليحسن نباته، ويكمل ريعُهُ»[3].

---

(١) التفسير الكبير (٣٠/ ٤٦).

(٢) (ص ٤٥).

(٣) الربع: النماء والزيادة. مختار الصحاح.

وقد أكد ابن القيم - رحمه الله - هذه المسؤولية ، وتكلم كلاماً مفيداً نافعاً ، فقال[1]:«قال بعض أهل العلم : إن الله سبحانه - يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة، قبل أن يسأل الولد عن والده ؛ فإنه كما أن للأب على ابنه حقاً ، فللابن على أبيه حق ؛ كما قال الله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ [العنكبوت : ٨] . وقال تعالى : ﴿ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم : ٦] . وقال على بن أبي طالب : علموهم وأدبوهم . وقال تعالى :﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [النساء :٣٦] وقال النبى ﷺ «اعدلوا بين أولادكم»[2] .

فوصية الله للآباء بأولادهم ، سابقة على وصية الأولاد بآبائهم ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الإسراء] .

ويتابع ابن القيم قوله : «فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه ، وتركه سدى ، فقد أساء غاية الإساءة ، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم مِنْ قِبَلِ الآباء ، وإهمالهم لهم ، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه ، فأضاعوهم صغاراً ، فلم ينتفعوا بأنفسهم ، ولم ينفعوا آبائهم كباراً؛ كما عاتب بعضهم ولده على العقوق ، فقال : يا أبت ! إنك عققتنى صغيراً ، فعققتك كبيراً ، وأضعتنى وليداً فأضعتك شيخاً» .

وإن الزواج وإنجاب الأولاد مسؤولية كبيرة يحاسب عليها المرء يوم القيامة ، أخرج الترمذى عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ : «يُؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول له : ألم أجعلْ لكَ سمعاً وبصراً ومالاً وولداً؟ وسخَّرتُ لكَ الأنعام والحرث ؟ وتركتكَ ترأس وتربع ؟ فكنتَ تظن أنك ملاقى يومك هذا ؟ فيقول : لا ، فيقول له : اليوم أنساك كما نسيتنى» وفى رواية : «ألم أزوجك ؟» .

---

(١) أحكام المولود (ص ٢٢٩) .

(٢) «اعدلوا بين أولادكم فى النحل كما تحبون أن تعدلوا بينكم فى البر واللطف» صحيح ، رواه الطبرانى عن النعمان بن بشير . انظر: صحيح الجامع الصغير برقم (١٠٤٦) .

«فأى شهادة على سخافة مدارك الرجل ، وفقد شعوره ، أعظم ممن يمثل أمام عينيه، الزمن الذى يبلغ فيه الطفل أشدّه ، ويرسم فى مخيلته ، كيف ينتظم فى دائرة رجاله ، ولا يؤهله بالتربية الحسنى لأن يكون سيداً نبيلاً»[1] .

أما هذه التربية فهى حق الابن على والديه ، وليست هبة أو هدية ، وهذا أكده النبى ﷺ بقوله : «إنما سماهم الله أبراراً ، لأنهم بروا الآباء والأبناء ، كما أن لوالدك عليك حقاً ، كذلك لولدك عليك حق» أخرجه البخارى فى الأدب المفرد[2] .

وروى النسائى ، وابن حبان فى صحيحه مرفوعاً : «إن الله سائل كل راع عما استرعاه أَحَفِظَ أم ضَيَّعَ ؟ حتى يسأَلَ الرجل عن أهل بيته»[3] .

وفى رواية عبد الرزاق :«إن الله ـ عز وجل ـ سائل كل ذى رعية فيما استرعاه، أقام أمر الله فيهم أم أضاعه،حتى إن الرجل ليسأل عن أهل بيته».

لهذا قال سعيد بن العاص ﷺ وهو يتحسس مسؤولية تربية ولده ، وحقه عليه ، فيقول : «إذا علّمتُ ولدى القرآن ، وحَجَّجْتُه ، وزوّجْتُه ، فقد قضيتُ حقَّه ، وبقى حقى عليه» . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب«العيال» (١/ ٣٣١) .

وقال سفيان الثورى - رحمه الله : «كان يقال : حق الولدعلى والده أن يحسن اسمه ، وأن يزوجه إذا بلغ ، وأن يُحجِّجه ، وأن يُحسِن أدبه» رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب «العيال» (١/ ٣٣٢) .

٢ - السعى للزواج من امرأة صالحة ومربية :

روى البخارى - كتاب العتق - عن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «كُلُّكم راع فمسؤول عن رعيته ، فالأميرُ الذى على الناس راعٍ ، وهو مسؤولٌ عنهم ، والرجلُ راعٍ على أهل بيته، وهو مسؤولٌ عنهم ، والمرأة راعيةٌ على بيت بعلها وولده، وهى مسؤولة عنهم ...

---

(١) السعادة العظمى (ص ٩٠) للشيخ محمد الخضر حسين رحمه الله .

(٢) ورواه الطبرانى ، وفيه عبيد الله بن الوليد الوصافى ، وهو ضعيف ، كذا قاله الهيثمى فى المجمع (٨/ ١٤٦) .

(٣) انظر :سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (١٦٣٦) .

الحديث» ،ورواه مسلم،والترمذى،وأبو داود،وأحمد.

فخص رسول الله ﷺ المرأة مسؤولية رعاية وتربية الأولاد؛لأنها أكثر تفرغًا،وقربًا من الطفل.

إن الإسلام دين أسرة ، ويقرر تبعة المؤمن فى أسرته ، وواجبه فى بيته ، والبيت المسلم هو نواة الجماعة الإسلامية ، وهو الخلايا التى يتألف منها ، ومن الخلايا الأخرى.

وإن مما يساعد الأب على تربية طفله ، ورعايته فى العملية التربوية : الزوجة الصالحة ، التى تتفهم دورها ، ووظيفتها ، وتقوم بهما على أحسن وجه ، وهى الركن الرئيسى فى هذا العمل ، وعملها هذا ، له دور تاريخى فى حياة المجتمعات ، فقد تنتج ولداً مصلحاً للمجتمع ، يقود الأمة إلى الخير والقوة .

يقول **صاحب الظلال** - رحمه الله :

«إن البيت قلعة من قلاع هذه العقيدة ، ولابد أن تكون قلعة متماسكة من داخلها، حصينة فى ذاتها ، كل فرد منها يقف على ثغرة لا ينفذ إليها ، وإلا تَكُنْ كذلك ، سهلَ اقتحام العسكر من داخل قلاعه ، فلا يصعب على طارق ، ولا يستعصى على مهاجم .

وواجب المؤمن ، أن يُؤمّن هذه القلعة من داخلها ، وواجبه أن يسد الثغرات فيها، قبل أن يذهب عنها بدعوته بعيداً .

ولا بد من الأم المسلمة ، فالأب المسلم وحده لا يكفى لتأمين القلعة ، لا بد من أب وأم ليقوما - كذلك - على الآباء والبنات ، فعبثاً يحاول الرجل أن ينشئ المجتمع الإسلامى بمجموعة من الرجال ... لا بد من النساء فى هذا المجتمع ، فهن الحارسات على النشء ، الذى هو بذور المستقبل وثماره .

هذا أمر ينبغى أن يدركه الدعاة إلى الإسلام ، وأن يدركوه جيداً :

«إن أول الجهد ينبغى أن يوجه إلى البيت ، إلى الزوجة ، إلى الأم ، ثم إلى الأولاد ، وإلى الأهل بعامة ، ويجب الاهتمام البالغ بتكوين المسلمة ، لتنشئ البيت المسلم ، وينبغى لمن يريد بناء بيت مسلم أن يبحث له أولا عن الزوجة المسلمة،وإلا فسيتأخر بناء الجماعة الإسلامية ، وسيظل البنيان متخاذلاً ، كثير الثغرات» [1].

«إن خير ما تنكح عليه المرأة دينها ، وصلاحها ، وتقواها ، وإنابتها إلى ربها ـ تبارك وتعالى ـ مثل هذه تقر العين بها ، وتؤتمن على نفسها ، ومال زوجها ، وتربية أولاده ، كى تغذيهم بالإيمان مع الطعام ، وتصب فيهم أحسن المبادئ مع اللبن ، وتسمعهم من ذكر الله ـ تعالى ـ ومن الصلاة على نبيه ﷺ ما يشربهم التقوى ، ويركز فيهم حب الإسلام إلى أن يموتوا ؛ والمرء يشيب على ما شبّ عليه ، وإن صفات الوالدين تنحدر إلى الأولاد .

وكثيراً ما تظهر ملكة التقوى فى الولد ، تبعاً لأبويه ، أو لأحدهما ، أو للعم،أو الخال، وقد ورد الإرشاد النبوى ، منبهاً إلى هذا : فيما رواه ابن عدى وابن عساكر عن عائشة رضى الله عنها ، عن سيدنا رسول الله ﷺ قال : «تَخَيّروا لنطفكم ؛ فإن النساء يَلِدْنَ أشباه إخوانهن وأخواتهن»[2] .

وروى الدراقطنى عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «اختاروا لنطفكم المواضع الصالحة» .

«ومن حق الزوج أن يبتغى الثقافة فى زوجته ؛ لأن الثقافة تُعينها على تدبير المنزل، وتربية الولد تربية صالحة . وللمرأة أن تتعلم ما تشاء من العلوم ، بالطريقة التى تلائم كمالها . ومما صدر من الخواطر : «إن الرجل والمرأة كالبيت من الشِّعْر،

(١) دستور الأسرة فى ظلال القرآن (ص ١١٢) .

(٢) رحمة الإسلام بالنساء للشيخ محمد الحامد – رحمه الله – (ص ٤٠ – ٤١) . وفى رواية ابن ماجه والبيهقى : «تخيروا لنطفكم ، فأنكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم» صحيح . انظر: صحيح الجامع رقم (٢٩٢٨) .

ولا يحسن فى البيت أن يكون شطره محكماً والشطر الآخر متخاذلاً»[1].

وإن رسول الله ﷺ امتدح نساء قريش لما يتمتعن به من صفات جيدة تجاه أولادهن بالحنان، وأزواجهن بالرعاية.

أخرج البخارى ومسلم عن أبى هريرة ﷺ، عن النبى ﷺ قال: «خَيْرُ نساءٍ رَكِبْنَ الإبل صالح نساء قريش، أحناه على ولد فى صغره، وأرعاه على زوج فى ذات يده».

قال أبو العباس القرطبى: ويعنى بالصلاح - هنا: صلاح الدين، وصلاح المخالطة للزوج وغيره، كما دلَّ عليه قوله: «أحناه، وأرعاه».

وقال زين الدين العراقى: «قوله: «أحناه» أى: أشفقه، والحانية على ولدها التى تقوم عليهم بعد تيتمهم، فإن تزوجت فليس بحانية، قاله الهروى».

وقوله: «أرعاه على زوج» أى: أحفظ وأصون.

وقوله: «فى ذات يده» أى: فى ماله المضاف إليه، والمراد: حفظها مال الزوج، وحسن تدبيره فى النفقة وغيرها، وصيانته عن أسباب التلف.

قوله: «أحناه، وأرعاه»: أصله: أحناهن، وأرعاهن، ولكنهم لا يتكلمون به إلا مفرداً، قاله أبو حاتم السجستانى وغيره. كذا فى «طرح التثريب فى شرح التقريب» لزين الدين أبى الفضل العراقى (٧/ ١٣).

وإن من صلاح المرأة، وتقواها، وحبها لزوجها، وأولادها، ومن أدلة حسن تربيتها من والديها، هو احترامها لزوجها، والتأدب معه، والتلطف إليه، مما يساعد على تربية الأطفال، ورؤيتهم للبيت الهادئ الساكن، فينشؤون بسكينة ووقار.

فهذه ابنة سعيد بن المسيَّب تقول: ما كُنَّا نَعْلَمُ أزواجَنَا إلا كما تعلمون أنتم

(١) دراسات فى الشريعة الإسلامية (ص ٩٨) للشيخ محمد الخضر حسين - رحمه الله.

أُمَراءَكم . رواه ابن ابى الدنيا فى كتاب العيال (٢/ ٧٣٩) .

هكذا تقول : «ما كُنا نعلم» أى : إن والدها قد علمها ، وهذّبها ، وأحسن تربيتها، وكانت عالمة تقية ، فمن تقوى المرأة ، وحبها لدينها أن تنظر إلى زوجها باحترام وتقدير ، حتى لو كان فقيرًا مثل زوج ابنة سعيد ، فالفقر ليس عيباً فى الرجل ، ما دام يسعى على قوت عياله من حلال ... تلك ابنة سعيد بن المسيب ابنة العالم العامل الداعية إلى الله ، يقول عنها زوجها الذى تحترمه ذلك الاحترام : «ثم دخلتُ بها ، فإذا هى من أجمل الناس، وإذا هى أحفظ الناس لكتاب الله ، وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ ، وأعرفهم بحق الزوج»[1] .

إن المرأة الصالحة مهما بلغت من الدرجات العلمية العليا ، تعرف أن مكانة زوجها أعلى من ذلك . إنها تنظر إليه بنور النبوة الذى جعل الزوج أحد مفاتيح الجنة لزوجته ، وتنظر إليه بعين الإيمان واليقين بما قاله الله تعالى : ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴾ [النساء :٣٤] .

وإن قيام المرأة بالعملية التربوية لأطفالها ، وأولادها ، وقيامها على خدمة زوجها ، يرقيها إلى أعلى الدرجات ، ويضعها فى مصاف النساء العظيمات ، وعملها هذا يعدل جهاد الرجل فى المعركة ، وصلاة الجمعة فى المساجد .

روى مسلم فى صحيحه أن أسماء بنت يزيد بن السكن - رضى الله عنها - أتت النبى ﷺ فقالت : إنى رسول من ورائى من جماعة نساء المسلمين ، كلهن يقلن بقولى، وعلى مثل رأيى ، إن الله بعثك إلى الرجال والنساء ، فآمنّا بكَ واتبعناكَ ؛ ونحن معشر النساء ، مقصورات مخدرات ، قواعد بيوت ، وإن الرجال فضلوا بالجُمُعَات ؛ وشهود الجنائز ، والجهاد ، وإذا خرجوا للجهاد ، حفظنا لهم أموالهم ، وربَّينا أولادهم ، أفنشاركهم فى الأجر يارسول الله ؟

(١) انظر : هامش كتاب العيال وعزاه محققه إلى حلية الأولياء لأبى نعيم .

فالتفت رسول الله ﷺ إلى أصحابه فقال : «هل سمعتم مقالةَ امرأةٍ أحسن سؤالاً عن دينها من هذه ؟!» .

فقالوا : لا يا رسول الله .

فقال رسول الله ﷺ :«انصرفى يا أسماء وأعلمى من وراءك من النساء : أن حُسن تَبَعُّلِ إحداكنَّ لزوجها ، وطلبها لمرضاته ، واتباعها لموافقته ، يعدل كل ما ذكرت» .

وهذا ما فعلته الفاضلة امرأة عمران ، عندما توجهت إلى الله تعالى فقالت :

﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [آل عمران : ٣٥] . قال العلامة أبو بكر الجصاص – رحمه الله – فى كتابه: «أحكام القرآن» (٢/ ١١) :

«والنذر فى مثل ذلك صحيح فى شريعتنا أيضاً ، بأن ينذر الإنسان أن يُنشئ ابنهُ الصغير على عبادة الله وطاعته ، وألا يَشغله بغيرهما ، وأن يُعلِّمه القرآن والفقه وعلوم الدين ، وجميع ذلك نذور صحيحة ؛ لأن فى ذلك قربة إلى الله تعالى ...» ثم قال :

«ويدل على أن للأم ضرباً من الولاية على الولد فى تأديبه وتعليمه وإمساكه وتربيته ، ولولا أنها تملك ذلك لما نذرته فى ولدها، ويدل أيضاً على أن للأم تسمية ولدها ، وتكون تسمية صحيحة ، وإن لم يسمه الأب لأنها قالت :﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾ [آل عمران: ٣٦] وأثبت الله تعالى لوالدها هذا الاسم» .

وإن الماوردى يعتبر اختيار الزوجة حق الولد على أبيه ، اقتباساً من قول عمر ابن الخطاب ﷺ فيقول : «فمن أول حق الولد أن ينتقى أمه ، ويتخير قبل الاستيلاد منهن : الجميلة ، الشريفة ، الدّيِّنة ، العفيفة ، العاقلة لأمورها ، المرضية فى أخلاقها ، المجربة بحسن العقل وكماله ، المواتية لزوجها فى أحوالها»[1] .

(١)كتاب نصيحة الملوك لأبى حسن الماوردى ، تحقيق : الشيخ الخضر محمد الخضر (ص ١٦٢) .

وإن رسول الله ﷺ يقر النظرة التربوية التى نظرها جابر بن عبد الله فى اختياره لزوجته ؛ لتقوم بمهام تربوية فى بناء أخوات صغار لجابر ، بالإضافة إلى أبنائه فى المستقبل .

أخرج الخمسة عن جابر فى حديث طويل[1] أنه قال لرسول الله ﷺ حين سأله : «هل تزوجت بكراً أم ثَيِّباً ؟» قال : بل ثَيِّباً ، قال : «هَلا بِكراً تُلاعِبُها وتُلاعِبُكَ ؟» فقلت : يا رسول الله تُوفى والدى ، ولى أخوات صغار ، فكرهت أن أتزوج مثلهنّ «أى : فى السن» فلا تُؤدبهن ، ولا تقوم عليهن ، فتزوجت ثيباً ؛ لتقوم عليهن وتؤدبهن» .

لذلك فإن من واجبات المرأة الأم ، تجاه زوجها ، أن تحسن القيام بتربية أولادها منه ، فى صبر ، وحلم ، ورحمة، فلا تغضب على أولادها أمامه ، ولا تدع عليهم ، ولا تسبهم، ولا تضربهم ، فإن ذلك قد يُؤذيه منها ، وربما استجاب الله دُعاءَها عليهم ، فيكون مصابها بذلك عظيماً [2] .

وأخيراً ، فإن الزوجة الصالحة هى الكنز الحقيقى الذى يدخره الرجل فى دنياه وآخرته. روى الترمذى عن ثوبان ، قال : «لما نزلت ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ ﴾ [التوبة : ٣٤] كنا مع رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره ، فقال بعض أصحابه : أُنزلت فى الذهب والفضة ، فلو علمنا أى المال خير لاتخذناه ؛ فقال رسول الله ﷺ: «أفضله لسان ذاكر ، وقلب شاكر ، وزوجة صالحة ، تُعين المؤمن على إيمانه» .

وروى أبو داود عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ ﴾ [التوبة: ٣٤] كَبُرَ ذلك على المسلمين ، فقال عمر : أنا أُفَرِّجُ عنكم ، فانطلق ؛ فقال : يا نبى الله . إنه كَبُرَ على أصحابك هذه الآية، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب ما بقى من أموالكم ، وإنما فرض المواريث ، لتكون لمن بعدكم» فَكَبَّرَ عمر ، ثم قال له: «ألا أُخبرك بما يكنز

(١) انظر: الحديث بطوله فى تيسير الوصول (١/ ٦٢)، وجامع الأصول (١/ ١٥) .
(٢) المرأة المسلمة للشيخ وهبى سليمان الغاوجى (ص ١٥٣) .

الرجل : المرأة الصالحة ، إذا نظر إليها زوجها سَرَّتْهُ ، وإذا أَمَرَها أطاعته ، وإذا غابَ عنها حفظته» .

اللهم اجعل زوجاتنا كذلك ، صالحات قانتات حافظات للغيب .

وهذه نماذج من الأمهات الصالحات اللواتى كن سبباً فى إنجاب وتربية أولادهن، فكن سبباً فى تغيير أحداث التاريخ عبر أولادهن الأبطال ، العلماء ، الأتقياء ، الصالحين،ولم يكن يرغبن بالعمل خارج تربية أولادهن تربية صالحة ، ولم يرغبن فى الدرهم والدينار على أن يدخلن التاريخ عبر تربية أولادهن ، ولم يكن يستقبحن دورهن القيادى فى منازلهن ، وهن يُرضعن أولادهن الحليب مع التأديب، والحنان مع الصلاح ، والكلمة الحسنة مع العلم والحكمة .

ولم يكن أولئك الخالدات بحاجة إلى اتحاد نسائى يُعرفهن بحقوقهن ، ويُنسيهن واجباتهن ، وإنما كنَّ يُدركن رسالة الأمومة التى تهز العالم بيسارها ، وهى تهز سرير طفلها بيمينها .

إن إيمان الأم بدورها الريادى فى تربية أولادها ، يجعلها تدخل فى مؤثرات الأحداث من أوسع أبوابها ، إنه درس خصوصى فى بيت خصوصى ، الأم فيه المعلمة، والمربية ، والطباخة ، والقائمة بشؤون البيت ، والأولاد هم رعيتها المحبّبون إليها ، ولا يرضون عنها بديلاً ما دامت هى لا ترضى عنهم بديلاً .

إن الأم المربية لأولادها تساهم فى بناء أكثر المجتمع ، فهى تملك طفلاً ، أو طفلين على أقل تقدير ، وهى تملك أكثر فى توسط التقدير ، فقيامها على التربية الصالحة تحمى المجتمع من أن تنتج له مجرمين ، ورعايتها لبيتها توفر للدولة اقتصاداً أقوى ؛ لأنها تعلم قيمة المال الذى يأتى به زوجها . كما أنها تتيح للذكور من أمتها تقلد الأعمال بدلاً من أن يتيهوا فى الطرقات والشوارع ، فيكثر فراغهم ، فيؤدى بهم فى الوقوع فى حبائل العصابات الشريرة، وما أكثر أنواع هذه العصابات فى عصرنا الحالى !

إن الإسلام حفظ لكل أنثى نفقتها على الرجال سواء كانت بنتاً ، أم أختاً ، أم زوجة ، أم أماً ؛ وذلك لكى تتحرك رجولة الرجال فى العمل ، وتتحرك غيرة النساء إلى إنجاب وتربية الأبطال من الذكور ، والأمهات القادرات من الإناث .

فهذا [1] على بن أبى طالب أمير المؤمنين - كرم الله وجهه - يتربى على يدى أمه فاطمة بنت أسد ، وابن عمه رسول الله ﷺ وزوجته خديجة بنت خويلد ، فكانت نتيجة ذلك أن يكون على - رضى الله عنه - فداءً لرسول الله ﷺ فينام فى فراشه لكى يوهم المشركين ، وييسر هجرة رسول الله ﷺ وكانت أول عملية فدائية لعلى ﷺ فى تاريخ الإسلام.

وهذا عبد الله بن جعفر يستشهد والده ، وهو صغير ، فتعاهدته أمه أسماء بنت عُمَيْس، فتكمل تربيته ، وتنشئته على الجود والكرم ، والفداء لدين الله ، فيهز التاريخ طرباً بفتوحاته ، وقيادته .

وهذا معاوية بن أبى سفيان ﷺ الذى كانت فتوحاته تمتد أربعين سنة ، عشرين سنة والياً لدمشق ، وعشرين سنة خليفة للمسلمين ، ربّته أمه على القيادة الحكيمة، والحلم،والأناة،وتتنبأ له بهذه المكانة وهو طفل صغير ، فيقال لها عنه وهو صغير: «إن عاش معاوية ساد قومه»،فإذا بجوابها يحفظه التاريخ لنا نبراسا للأمهات فترد: «ثَكِلْتُهُ إن لم يَسُدْ إلا قومه» . ولما نُعى إليها ولدها يزيد بن أبى سفيان قال لها بعض المعزين : «إنا لنرجو أن يكون فى معاوية خَلَفٌ عنه» ، فقالت :

«أو مثل معاوية يكون خلفاً من أحد ؟ والله لو جَمعت العربُ من أقطارها،ثم رُمى به فيها ؛ لخرج من أيها شاء» .

وكان معاوية ﷺإذا نُوزع الفخر بالمقدرة ، وجُوذب المباهاة بالرأى ، انتسب إلى أمه ، فصدع أسماع خصمه بقوله : «أنا ابن هند» .

---

(١)نذكر هذه النماذج نقلاً من كتاب (عودةالحجاب) لمحمد أحمد إسماعيل المقدم (٢/ ١٤١) بتصرف .

وأما سفيان الثورى - أحد أصحاب المذاهب الستة المتبوعة فى الفقه ، وإمام المحدثين- فقد روى الإمام أحمد بسنده عن وكيع قال : قالت أم سفيان لسفيان : «يابنى ، اطلب العلم ،وأنا أكفيك بمغزلى» .

ومما قالت له أيضاً : «يا بنى ، إذا كتبتَ عشرة أحرف فانظر : هل ترى فى نفسك زيادة فى خشيتك ، وحلمك ، ووقارك ، فإن لم تر ذلك ، فاعلم أنها تضرك ، ولا تنفعك» .

ومما رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب «العيال» (٢/ ٥٧٨ - ٥٨٣) فى فضل عمل المرأة بالمِغْزَل : عن مجاهد - رفعه - قال : «نِعْمَ لهْوُ المرأةِ المغزل» . قال محقق الكتاب: حديث مرسل ، رجاله رجال الصحيح ، ما خلا حسين بن يزيد فهو ليّن .

وقال عمر ﷺ : «علموا أولادَكم العَوْمَ والرمايةَ ، ونِعْم لهو المرأة المِغْزَل» .

وقال على - كرم الله وجهه : «إن المِغْزَل من طيّباتِ الرزق» .

وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت : «المِغْزَلُ فى يَدِ المرأةِ مِثلُ الرُّمْح فى يد الغازى» .

وهذه أم الإمام الأوزاعى الفقيه ، المحدِّث ، الذى أفتى وله من العمر ثلاث عشرة سنة، تربيه تربية صالحة تجعل منه إماماً ، رغم يتمه ، ولم يمنعها فقرها من تأديبه وتعليمه ، قال الذهبى [1] :«قال الوليد بن مزيد البيروتى :

«ولد الأوزاعى ببعلبك ، وربُى يتيماً فقيراً فى حجر أمه ، تعجز الملوك أن تؤدب أولادها أدبَه فى نفسه ، ما سُمِعت منه كلمة فاضلة إلا احتاج مستمعها إلى إثباتها عنه ، ولا رأيته ضاحكاً يقهقه ، ولقد كان إذا أخذ فى ذكر المعاد أقول : ترى المجلس لم يبك» .

وهذه أم «ربيعة الرأى» شيخ الإمام مالك ، أنفقت على تعليم ولدها ثلاثين

(١) تذكرة الحفاظ (١/ ١٧٨ - ١٧٩) .

ألف دينار، خلّفها زوجها عندها ، وخرج إلى الغزو فى سبيل الله ، ولم يعد لها إلا بعد أن استكمل ولده الرجولة ، والمشيخة ، وكانت أمه قد اشترتها له بمال الرجل ، فأحمد الرجل صنيعها ، وأربح تجارتها فى قصة طويلة ساقها ابن خلّكان ، فقال :

«كان فَرُّوخ أبو ربيعة الرأى ، خرج فى البعوث على خرسان أيام بنى أمية ، وربيعة حمل فى بطن أمه ، وخَلَّف عند زوجته أم ربيعة ثلاثين ألف دينار ، فقدم المدينة بعد سبعة وعشرين سنة ، وهو راكب فرساً ، وفى يده رمح ، فنزل ؛ ودفع الباب برمحه ، فخرج ربيعة، وقال : «يا عدو الله ! أتهجم على منزلى ؟ !» .

فقال فَرُّوح : «يا عدو الله ، أنت دخلت على حرمى ؟ !» فتوائبا ، حتى اجتمع الجيران ، وبلغ مالك بن أنس ، فأتوا يُعينون ربيعة ، وكثر الضجيج ، وكل منهما يقول : «لا فارقتك» ، فلما بصروا بمالك سكتوا ، فقال مالك : «أيها الشيخ ، لك سعة فى غير هذه الدار» .

فقال الشيخ : «هى دارى ، وأنا فَرُّوخ» .

فسمعت امرأته كلامه ، فخرجت ، وقالت : «هذا زوجى ، وهذا ابنى الذى خَلَّفَهُ وأنا حاملٌ به» . فاعتنقا جميعاً وبكيا ، ودخل فرّوخ المنزل ، وقال : «هذا ابنى؟!» قالت : «نعم» قال : «أخرجى المالَ الذى عندَكِ» ، قالت - تُعَرِّضُ : «قد دفنتُه وأنا أخرجُه» .

ثم خرج ربيعةُ إلى المسجد النبوى ، وجلس على حلقته ، فأتاه مالك والحسن ، وأشراف أهل المدينة ، وأحدقَ الناسُ به ،فقالت أُمُّه لزوجها فَرُّوخ :

«أُخرج فَصلِّ فى مسجد رسول الله ﷺ» ، فخرج ، فنظر إلى حلقة وافرة ، فأتاها، فوقف عليها ، فنكس ربيعةُ رأسَه يُوهمُه أنه لم يره ، وعليه قلنسوة طويلة ، فشك أبوه فيه ، فقال : «مَنْ هذا الرجل ؟» فقيل : «هذا ربيعة بن أبى عبد الرحمن» فقال : «لقد رفع الله ابنى» ، ورجَع إلى منزله ، وقال لوالدته : «لقد رأيتُ وَلَدكِ على حالةٍ ما رأيتُ أحداً من أهل العلم والفقه عليها» ، فقالت أمه : «فأيها أحب إليك :

ثلاثون ألف دينار ؛ أوهذا الذى هو فيه ؟ !» . فقال : «لا والله بل هذا» فقالت : «أنفقتُ المالَ كُلَّه عليه» . قال : «فوالله ما ضَيَّعْتِهِ» .

هكذا الأمهات الخالدات ، تصرف المال فى تعليم أولادهن ، وليس فى زيادة كسوتهنّ ، وحليهنّ ، وزينتهن ، وهذا هو الحب الحقيقى للأولاد ، سواء من الأمهات العاملات بمغزلهن فى بيوتهن ، أو ممن يَصرفن المال فى تحصيل أولادهن أفضل العلوم الشرعية .

ومن لطائف ما قيل فى فضل الأم ، وأثرها على أولادها :

قال رافع بن هُريم :

فَلَوْ كُنْتُم لِمُكْيِسَةٍ أكَاسَتْ ... وكَيْسُ الأمّ يُعْرَفُ فى البنينا

وقال حافظ إبراهيم - رحمه الله :

الأُمُّ مَدْرَسَةٌ إذا أَعْدَدْتها ... أَعْدَدْتَ شَعْبًا طَيِّبَ الأَعْرَاقِ

الأُمُّ رَوْضٌ إنْ تَعَهَّدَهُ الحَيَا ... بالرِّىِّ أَوْرَقَ أَيُّما إيراقِ

الأُمُّ أُسْتاذُ الأَساتِذَةِ الأُلَى ... شَغَلَتْ مَآثرُهُم مَدى الآفَاقِ

٣ - ثواب الإنفاق على الزوجة والأولاد :

إن الإنفاق له أثر طيب فى العملية التربوية ، وخاصة عندما يكون مصدرها الموجه هو الشرع : ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [الطلاق : ٧] فلا إسراف ؛ ولا تبذير ، ولا تقتير ؛ ولا شُحّ ، وإنما اعتدال فى الإنفاق والبذل ؛ وذلك تدريب أيضا للطفل الناشئ ، على البذل المستطاع ، والإدارة الجيدة للاقتصاد المنزلى .

ولما كان الإثم كبيراً أن يُضَيَّعَ الرجلُ من يعيل من أطفال وغيرهم ، كان لخروجه للسعى فى الرزق أجر الجهاد فى سبيل الله .

روى ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (١/ ١٥٤) وأسنده إلى أبى المُخارق قال :

كنا عند رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك ، فطلعتْ ناقة له ، فأقام عليها سبعاً ،فمرَّ عليه أعرابى شابٌّ شديد قوى ، يَرعى غُنيمة له ، فقالوا : لو كان شبابُ هذا ، وشدتهُ ، وقوتُه فى سبيل الله عز وجل ! فقال رسول الله ﷺ :

«إن كان يسعى على أبوين كبيرين له ليغنيهما فهو فى سبيل الله .

وإن كان يسعى على صبيان له صِغَارٍ ليُغْنيهم فهو فى سبيل الله .

وإن كان يسعى على نفسه ليغنيها ويكافَ الناسَ فهو فى سبيل الله .

وإن كان يسعى رياءً وسمعةً فهو للشيطان» .قال محقق الكتاب : حديث مرسل، رجاله ثقات .

وعن ثوبان ﷺ مولى رسول الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «أفضلُ دينار ينفقهُ الرجلُ دينار يُنفقه على عياله ، ودينار يُنفقه على فَرَسه فى سبيل الله ، ودينار يُنفقه على أصحابه فى سبيل الله» قال أبو قِلاَبة : بدأ بالعيال ، ثم قال أبو قِلابة : أىُّ رَجُلٍ أعظمُ أجْراً من رجل يُنفق على عيالٍ صغارٍ يُعفُّهُمُ الله به ، أو ينفعهم الله به ؟ ! رواه مسلم والترمذى [1] .

بل الإنفاق على العيال من الكسب الحلال سبب لدخول الجنة مع الثلاثة الأوائل . عن أبى هريرة ﷺقال : قال رسول الله ﷺ : «عُرِضَ علىَّ أولُ ثلاثةٍ يَدخلون الجنةَ ؛ وأولُ ثلاثةٍ يدخلون النار .فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة:فالشهيد،وعبد مملوك أحسن عبادة ربه ونصح لسيده،وعفيف متعفف ذو عيال.

وأما أولُ ثلاثة يدخلون النار :فأميرٌ مُسلَّطٌ ، وذو أثَرٍ من مال ، لا يؤدى حقَّ الله فى ماله ، وفقيرٌ فخور» رواه ابن خزيمة فى صحيحه ، ورواه الترمذى ، وابن حبان بنحوه [2] .

وهكذا ترتبط الدنيا بالآخرة فى مفهوم التربية النبوية ، فليست عملية الإنفاق

(١،٢)انظر: الترغيب والترهيب للحافظ المنذرى ، الجزء الثالث ، باب : الترغيب فى النفقة .

غريزة أو شهوة ، بل مع استحضار النية لله تعالى ، وبذلك تسمو النفقة إلى أفق الجنة، وتدبُّ فيها الروح الإيمانية ، مما تزيد الوالدين على صدق العزم فى الكسب الحلال؛ لأنه طريق الجنة . اللهم ! وفقنا لذلك أبداً .

وقد جاءت أحاديث كثيرة توجه الإنسان إلى الإنفاق ، وأنه مأجور عليه ؛ بل إنه يتقدم كل الصدقات :

أخرج مسلم عن أبى هريرة ﷺقال : قال رسول الله ﷺ : «دينار أنفقته فى سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين،دينارٌ أَنفقتَه على أهلك ، أعظمُهَا الذى أنفقته على أَهْلِكَ» .

وعن سعد بن أبى وقاص ﷺ أن النبى ﷺ قال : «إنك مهما أنفقتَ على أهلك من نفقةٍ ، فإنك تؤجر ، حتى اللّقْمَة ترفعُها إلى فى امرأتك» رواه أبو يعلى فى مسنده (٢/ ٨١) بسند صحيح ، ورواه أحمد (١/ ١٧٢) .

وروى عن العرباض بن سارية ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن الرجلَ إذا سقى امرأته من الماء أُجِرَ» قال : فأتيتُها ، فسقيتُها ، وحدثتها بما سمعتُ من رسول الله ﷺ ،رواه أحمد،والطبرانى في الكبير والأوسط.

وعن أبى هريرة ﷺ أنه قال : يا رسول الله ، أى الصدقة أفضل ؟ قال : «جهد المقل ، وابدأ بمن تعول» رواه الحاكم فى مستدركه (١/ ٤١٤) وقال : صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه ، وأقره الذهبى ، ورواه أحمد (٢/ ٤، ٩٤) .

وروى أحمد بإسناد جيد - عن المقدام بن معد يكرب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «ما أطعمتَ نفسكَ فهو لك صدقة ،وما أطعمتَ ولدَكَ فهو لك صدقة ، وما أطعمتَ زوجتك فهو لك صدقة ، وما أطعمتَ خادمك فهو لك صدقة» .

وروى أبو حنيفة فى مسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال

رسول الله ﷺ: «إذا ماتَ أحدُكم مغموماً مهموماً، كان أفضل عند الله، من ألف ضربة بالسيف فى سبيل الله» وقال العلامة مُلا على القارى فى شرحه لهذا الحديث: «مغموماً» أى: حزيناً بحيث يغم فؤاده «مهموماً» تأكيد لما قبله، من: سبب العيال وكسب الحلال، الذى هو فرض عين عند أهل الكمال. «كان» فى تلك الحال «أفضل عند الله من ألف ضربة بالسيف فى سبيل الله» فإنه فرض كفاية فى غالب الأحوال.

وقد روى القضاعى عن ابن عباس، وأبو نعيم فى الحلية: «طلبُ الحلالِ جهادٌ».

وروى الطبرانى عن ابن مسعود: «طلب الحلال فريضة».

وروى الديلمى عن أنس: «طلب الحلال واجب على كلِّ مسلم».

وروى ابن عساكر عن أنس: «من باتَ كالاً فى طلب الحلالِ باتَ مغفوراً له»[1].

وعن ابن عمرو - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «كفى بالمرء إثماً أن يُضَيِّعَ من يقوت». رواه الحاكم فى مستدركه (١/ ٤١٥) وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجه، وأقره الذهبى.

وعن عامر بن سعد بن أبى وقاص قال: كتبت إلى جابر بن سَمُرة مع غلامى نافع: أن اكتب إلىَّ بشىء سمعته من رسول الله ﷺ، فكتب إلىّ: سمعته - يعنى النبى ﷺ - يقول: «إذا أعطى الله - عز وجل - أحدكم خيراً فليبدأ بنفسه، وأهل بيته». رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (١/ ١٦٠). وقال محقق الكتاب: أخرجه مسلم (٣/ ١٤٥٤) وأحمد فى المسند (٥/ ٨٦، ٨٨، ٨٩).

وقال عمر رضي الله عنه: «لأن أموت من سعى على رجلى، أطلب كفاف وجهى، أحب إلىّ من أن أموت غازياً فى سبيل الله»[2].

---

(١) شرح مسند أبى حنيفة للمحدث الملا على القارى - رحمه الله تعالى - (ص ٦٢).

(٢) أورده الكتانى فى التراتيب الإدارية (٢/ ٢٣)، وعزاه لابن الجوزى فى كتابه (تلبيس إبليس).

وروى ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (٢/ ٥٥٩) عن محمد بن المثنى قال : حدثنا معتمر ، عن أبيه ، حدثنا مسلمٌ قال :

لقينى معاوية بنُ قرَّة ، وأنا جاءٍ من الكَلأ (أى : كلأ الدين : تأخر دفعه).

فقال : ما صنعتَ ؟ قلتُ: استبرأت لأهلى كذا وكذا (أى : دفعت قيمة الدّين).

قال : وأصبتَهُ من حلالٍ ؟ قال : قلت : نعم ، قال : لأن أغدو فيما غدوتَ فيه كلَّ يوم أحبُّ إلىّ من أن أقوم الليل ، وأصومَ النهار .

وعن أيوب السختيانى أنه كان يقول لأصحابه كثيراً : تعاهدوا أولادكم وأهليكم بالبرّ والمعروف ، ولا تدعوهم تطمع أبصارُهم إلى أيدى الناس .

قال : وكان له (أى : لأيوب) زنبيل يغدو به إلى السوق فى كل يوم ، فيشترى فيه الفواكه ؛ والحوائج لأهله وعياله قال : وكان يقول : أفضلُ الجودِ ، كلُّ ما أُحْرِزَ به أجر . قال : وكان لأيوب أهلُ بيت فقراء ، كانَ يأتيهم بالنفقة ، والكسوة بنفسه ، فقيل له : لو أرسلتَ بها إليهم ؟ قال : ذهابى بها إليهم بها أعطفُ لى عليهم .

وعن الحسن قال : أول ما يوضع فى ميزان ابن آدم يوم القيامة نفقته على أهله إذا كانت من حلال .

وهذا عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يعلِّم ابنه أن يطلب الكسب الحلال لأولاده : أورد ابن المبارك فى كتابه «الزهد» وأسنده إلى الحسن ، قال : بينما عمر بن الخطاب يمشى ذات يوم فى بعض أزقة المدينة، إذا صَبِيَّة بين يديه تقوم مرة ، وتقعد أخرى ، فقال : يابؤسها ! من لهذه ؟ فقال ابن عمرو : هذه إحدى بناتك يا أمير المؤمنين ، قال : فما لها ؟ قال : مَنَعْتَها ما عندكَ ، قال : أَفعجزتَ إذا منعتُها ما عندى، أن تكسَبَ عليها ، كما يكسبُ الأقوام على بناتهم ؟ والله مالكَ عندى ، إلا ما لرجلٍ من المسلمين ، وبينى وبينك كتاب الله قال الحسن : فَخصَمَه والله [1] . وكان عبد الله

(١) الزهد والرقائق للإمام عبد الله بن المبارك ، تحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمى - رحمه الله تعالى (ص ٣٧٥) .

ابن المبارك يقول : «لا يقع موقع الكسب على العيال شيء ولا الجهاد فى سبيل الله عز وجل»[1] .

وقال أبو الأحوص : سمعت سفيان يقول :عليك بعمل الأبطال : الكسب من الحلال ؛ والإنفاق على العيال .

رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (١/ ١٥٨) ، ورواه أبو نعيم فى «الحلية» (٦/ ٣٨١) من طريق المصنف نفسه ، قاله محقق كتاب العيال .

وجاء رجل إلى الشبلى - رحمه الله - يشكو إليه كثرة العيال ، فقال : «ارجع إلى بيتك ، فمن ليس رزقه على الله تعالى فاطرده عنك»[2]

ولا بد أن نذكر ثواب إنفاق الزوجة على زوجها وأولادها :

فعن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ انصرف يوماً من الصبح، فأتى النساء فى المسجد ، فوقف عليهن ، فقال :«يا معشر النساء ، ما رأيتُ من نواقص عقولٍ قَطُّ ودين أذهبَ بقلوب ذوى الألباب منكنَّ ، وإنى قد رأيتُ أنكنَّ أكثرَ أهل النار يوم القيامة ، فَتَقَرَّبْنَ إلى الله بما اسْتَطَعْتُنَّ» ، وكان فى النساء امرأةُ عبدِ الله بن مسعود فانقلبت إلى عبدِ الله بنِ مسعود ، أين تذهبين بهذا الحلى ؟ قالت : أتقربُ به إلى الله ورسوله ، قال : ويحك ، هلمى ؛ تصدقى به علىَّ وعلى ولدى ، فإنا له موضع ، فقالت : لا ، حتى أذهب إلى رسول الله ﷺ قال : فذهبتْ تستأذن على رسول الله ، فقالوا : يا رسول الله ، هذه زينب ؛ تستأذن ؛ قال : «أى الزيانب هى؟» قالوا : امرأة ابن مسعود ، قال : «ائذنوا لها» فدخلتْ على النبى ﷺ فقالت :يا رسول الله ، إنى سمعت منكَ مقالةً ، فرجعت إلى ابن مسعود ، فحدثتُه ، وأخذتُ حلياً لى ، أتقرب به إلى الله وإليك ، رجاء ألا يجعلنى الله من أهل النار ، فقال لى ابنُ مسعود : تصدقى به علىَّ ، وعلى ابنى ، فإنا له موضع ، فقلت : حتى أستأذن رسول الله ﷺ ، فقال

(١) مقدمة كتاب الزهد لعبد الله بن المبارك ، تحقيق : الشيخ حبيب الرحمن الأعظمى - رحمه الله.
(٢) الرسالة القشيرية ، باب : التوكيل .

رسول الله ﷺ : «تصدقى به عليه ، وعلى بنيه ، فإنهم له موضع» . رواه ابن خزيمة فى صحيحه (٤/ ١٠٦) وإسناده صحيح .

وفى رواية : «صدقَ ابن مسعود ، زوجك ، وولدك ، أحق من تصدقت به عليهم» وفى رواية : «نَعم ، لهما أجران : أجر القرابة ،وأجر الصدقة» .

بل إن الأمر ليتعدى الإنفاق فى الحياة الدنيا فقط ، فيتخطاه إلى ترك الورثة أغنياء يستغنون عن الناس بوراثة مال أبيهم وأمهم :

روى أحمد والشيخان عن سعد بن أبى وقاص ﷺ قال : كنت مع رسول الله ﷺ فى حجة الوداع ، فمرضتُ مرضاً أشفيت منه على الموت ، فعادنى رسول الله ﷺ ، فقلتُ : يا رسول الله ، إن لى مالاً كثيراً ، وليس يرثنى إلا ابنة لى ، أَفأُوصِى بثلثى مالى؟ قال «لا» ، قلتُ : فثلث مالى ؟ ، قال : «الثلثُ ، والثلثُ كثير ، إنكَ يا سعد أن تَدَعَ وَرَثَتَكَ أغنياء ، خيرٌ لكَ مِنْ أنْ تَدَعَهُم عَالةً يتكفَّفون الناس» .

وإنَّ همَّ الإنفاق ليكفِّر الذنوب والمعاصى :

روى الطبرانى وأبو نعيم فى الحلية عن أبى هريرة ﷺمرفوعاً : «إن من الذنوب ذنوباً لا يُكفِّرُها الصلاةُ ، ولا الصومُ ، ولا الحَجُّ ، ويُكفِّرُها الهمُّ فى طلب المعيشة» . وفى لفظ : «ويكفرها عَرَقُ الجبين فى طلب المعيشة» .

وللديلمى عن أبى هريرة ﷺ مرفوعاً : «إن فى الجنة درجةً لا ينالها إلا أصحاب الهموم» [1] . يعنى : فى طلب المعيشة .

ولأبى سليمان الدارانى : «مَنْ باتَ تَعِبًا من كسب الحلال ، فإن الله عنه راض».

وروى ابن الدنيا عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «من طلب الدنيا حلالاً ، استعطافاً عن المسألة ، وتعطُّفاً على جاره ، وسعياً على عياله ، جاء يوم القيامة ووجهُهُ مثلُ القمر ليلة البدر ، ومن طلب الدنيا حلالاً مُفاخِراً ، مُكاثراً ،

(١) انظر: المقاصد الحسنة (ص ٢١٨) .

مُرَائياً ، لقىَ الله وهو عليه غضبان»[1].

وعندما يكون الزوج بخيلاً شحيحاً ، فقد أجاز النبى ﷺ للزوجة أن تأخذ من مال زوجها من غير إذنه ما تحتاجه ، لضروريات الأسرة ، وليس لكمالياتها ، فالكماليات لا تنتهى ، وهى تدخل فى حب الدنيا وزينتها ؛ فعن عائشة ﷺ أن هندًا أُمَّ معاويةَ جاءت رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ، إن أبا سفيانَ رجلٌ شحيحٌ ، وإنه لا يُعطينى ما يَكفينى وَبَنِىَّ ؛ فهل علىَّ جناح أن آخذ من ماله شيئاً ؟ فقال ﷺ : «خُذى من ماله ما يكفيك وبنيكِ بالمعروف» . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (٢/ ٧٠٧) قال محقق الكتاب : ورواه البخارى ومسلم .

وعن عكرمة أن امرأةً سألت ابن عباس - رضى الله عنهما - فقالت : ما يَحِلُّ لى من بيت زوجى ؟ فذكر الخُبزَ والتمر ، ونحو ذلك ، قالت : فالدراهم ؟ قال ابن عباس : أَتُحِبِّين أن يأخُذَ حُلِيَّكِ ؟ قالت : لا ، قال : فلا تأخذى من دراهمه . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (٢/ ٧١٢) .

وقدحارب القرآن العقول الجاهلية القديمة والحديثة التى تمتنع عن الإنجاب خشية عدم الإنفاق ؛ الرزق لأن من عند الله ، وليس الأب والأم والدولة والأمم التى ترزق، إنما الله هو الرزاق ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الإسراء]، وقوله تعالى :﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ [الأنعام : ١٥١].

ولم يأمر الله ـ تعالى ـ بالإنفاق الكثير بل :﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَـٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ ﴾ [البقرة]، وقوله : ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن

(١) قال محقق كتاب العيال (١/ ١٦٨) : رجاله ثقات ، ومكحول لم يثبت سماعه من أبى هريرة ، فروايته عنه مرسلة ، وشيخ المصنف مستور الحال .

سَعَتِهِۦ﴾ [الطلاق : ٧] ، وقوله : ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ [الطلاق : ٧] . وبذلك ينسجم اعتقاد المسلم بـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات]، مع سلوكه العملى اليومى بالإنفاق على أهله وعياله ؛ لأن الله تعالى تكفل برزق الآباء والأبناء على السواء.

٤ - أهداف الزواج الإسلامى :

الزواج الإسلامى ليس غاية جنسية بين الزوجين ، وإن كان هذا هدفاً ثانوياً ، تلبية لدوافع الجسد ، وإنما له أهداف سامية أهمها :

أ - تكثير عدد المسلمين ، وإدخال السرور على قلب الرسول ﷺ : فعن معقل ابن يسار قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : إنى أصبتُ امرأةً ، ذات حسن وجمال ، وإنها لا تلد ، أفأتزوجها ؟ فقال : «لا» ، ثم أتاه الثانية ، فنهاه ، ثم أتاه الثالثة ، فقال:«تزوجوا الولود ، فإنى مكاثرٌ بكم الأمم» رواه أبو داود والنسائى .

وروى ابن ماجه عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «النكاح من سنتى ،ومن لم يعمل بسنتى فليس منى ، وتزوجوا ، فإنى مكاثر بكم الأمم يوم القيامة» .

وقال عمر ﷺ : «ما آتى النساءَ لشهوةٍ ، ولولا الولدُ ما آتى النساء» ، وقال أيضاً : «إنى لأُكْرِهُ نفسى على الجماع كى تَخْرُجَ منى نَسَمةٌ تُسبح اللهَ تعالى» . رواهما ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (٢/ ٥٧١-٥٧٣) .

ب ـ إعفاف النفس ، والتقرب إلى الله ـ تعالى : وذلك لقوله ﷺ : «وفى بضع أحدكم له صدقة» ، قالوا : يا رسول الله ، أيأتى أحدُنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : «أرأيتم لو وضعها فى حرام ، أكان عليه وِزْر ؟» قالوا : بلى ، قال : «فكذلك ، لو وضعها فى الحلال كان له فيها أجر» رواه مسلم ، والنسائى ، وأحمد .

جـ ـ **إنشاء الجيل المسلم** : حيث ينوى عند الجماع طلب الولد الصالح ؛ أورد البخارى فى صحيحه - باب من طلب الولد للجهاد - عن أبى هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : «قال سليمان بن داود عليهما السلام : لأطوفن الليلة على مائة امرأة ، أو تسع وتسعين ، كلهن يأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله ، فقال له صاحبه : قل : إن شاء الله ، فلم يقل : إن شاء الله ، فلم تحمل منهنّ إلا امرأة واحدة، فجاءت بشق رجل ، والذى نفس محمد بيده ، لو قال : إن شاء الله ، لجاهدوا فى سبيل الله ، فرساناً أجمعون» .

قال الحافظ ابن حجر فى «الفتح»[1]:«قوله : باب من طلب الولد للجهاد ، أى : ينوى عند المجامعة حصول الولد ليجاهد فى سبيل الله ، فيحصل له بذلك أجر ، وإن لم يقع له ذلك» .

وإن من استمرار الذرية الصالحة سواء كانوا ذكوراً أو إناثاً استمرار الأجر للوالدين : عن عطاء بن أبى رباح قال : قال رسول الله ﷺ : «ما مِنْ عبدٍ مؤمن ترك ذريةٌ مؤمنةً تعبدُ الله وحدَه بعده ، إلا أجرى الله عز وجل على أبيها مِثلَ عملها ، لا يُنْقصُ ذلك من عملها شيئاً» .رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (٢/ ٦١١) قال محققه : حديث مرسل ، إسناده حسن .

فالذرية المؤمنة هى الادخار الحقيقى للإنسان فى الدنيا والآخرة : روى مسلم وأحمد وابن أبى الدنيا عن أبى هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : «إذا ماتَ ابنُ آدمَ انقطعَ عملُهُ إلا من ثلاثة : من صدقة جارية ، أو عِلْمٍ يُنتفع به ، أو وَلَدٍ صالحٍ يدعو له» .

وقد عقدت مؤتمرات دولية لتحديد النسل ؛ بحجة مشكلة الإسكان ، وإذا تأملنا فى واقع المسلمين بين أعدادهم والمساحات التى يسكنونها ، لرأينا أن نصيب الفرد المسلم كبير جداً من المساحة ، فالانفجار السكانى إنما هو فى عالم الغرب ، نتيجة

---

(١) فتح البارى (٧/ ٢٧٢) .

الإنجاب غير الشرعى ، واللامسؤول ، أما فى الإسلام فالأمر يختلف ؛ لأن الهدف الذرية الصالحة ، والإنجاب الشرعى ، وتحمل مسؤولية الأسرة ، والعمل والتوكل على الله فى جلب الرزق من باطن الأرض وظاهرها ، فليس لتلك الدعوات أى مجال لتتسرب إلى المسلمين لا من ناحية الشرع ، ولا من ناحية العقل . ولله الحمد والمنة .

ويقول أبو الحسن الماوردى مؤكداً هذا المعنى عند الجماع : «وأن ينوى فى ذلك كله نية الولد ، وأن يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وينوى فى الولد : أن الله لعله يرزقه من يعبد الله ويوحده ، ويجرى على يديه صلاح الخلق ، وإقامة الحق ، وتأييد الصدق ، ومنفعة العباد ، وعمارة البلاد»[1] .

د - **استمرار ذرية الإنسان** : روى الطبرانى عن أبى حفصة - رضى الله عنهما - أن النبىﷺ قال : «لا يدع أحدكم طلب الولد ، فإن الرجل إذا مات وليس له ولد انقطع اسمه»[2] .

ومن الملاحظة فى العصر الحديث أن الكفار من غرب وشرق ، وأذنابهم فى بلاد المسلمين، يُروجون فكرة تحديد النسل بين المسلمين ، وفى الوقت نفسه يشجعون الكفار على الإنجاب ، وذلك لكى يقل عدد المسلمين ، ويزداد عدد الكفار .

ولهذا حضّ النبى ﷺ على الإنجاب ليكون عزاً للمسلمين ، وقوة لهم : فعن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : «ما ولد فى أهل بيت غلام ، إلا أصبح فيهم عِزّ لم يكن» . رواه الطبرانى فى الأوسط[3] .

وإن الرسول ﷺ ليباشر الزواج والإنجاب عملياً ؛ ليكون له عَقِبٌ إلى يوم القيامة، تلتف الأمة المسلمة حول أولاده ، وليكون برهاناً عملياً أن الإنجاب سنة

(١) كتاب نصيحة الملوك للماوردى، تحقيق الشيخ خضر محمد خضر (ص ٦٦) .
(٢) انظر : كنز العمال (١٦/ ٢٨١) . وإسناده حسن ، كذا قاله الهيثمى فى المجمع (٤/ ٢٥٨) .
(٣) قال الهيثمى فى المجمع (٨/ ١٥٥) : وفيه هاشم بن صالح ذكره ابن أبى حاتم ، ولم يجرحه ، ولم يوثقه ، وبقية رجاله وثقوا .

الأنبياء والمرسلين ، وليكون تأكيداً على وجوده بآثاره .

قال ابن إسحاق : فولدت (أى خديجة رضى الله عنها) لرسول الله ﷺ ولده كلَّهم إلا إبراهيم : القاسمَ ، وبه كان يُكنى ﷺ والطاهرَ والطيبَ ، وزينبَ ، ورُقيَّةَ ، وأُمَّ كلثومٍ ، وفاطمةَ ، عليهم السلام . قال ابن هشام : أكبرُ بنيه : القاسمُ ، ثم الطيب ، ثم الطاهر ، وأكبر بناته: رُقيةُ ثم زينبُ ، ثم أُمُّ كلثومٍ ، ثم فاطمة [1].

وروى ابن سعد (١/ ١٣٣) عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : كان أول من وُلد لرسول الله ﷺ بمكة قبل النبوة القاسمُ وبه كانُ يكنى ، ثم وُلِدَ له زينبُ ، ثم رُقيَّةُ ثم فاطمة ، ثم أم كلثوم ، ثم ولد له فى الإسلام عبدُ الله ، فسُمّى الطيبُ ، والطاهرُ ، وأمُّهم جميعاً خديجةُ بنتُ خُويلد .

٥ ـ صفات المربى الناجح :

هناك صفات أساسية ، كلما اقترب منها المربى كانت له عَوْناً فى العملية التربوية، والكمال البشرى هو للرسل - عليهم الصلاة والسلام - ولكن الإنسان يسعى بكل جهده ، وبقدر المستطاع ،يراقب فيها نفسه بنفسه ، وذلك للتوصل إلى الأخلاق الطيبة ، والصفات الحميدة ؛ وخاصة أنه فى مركز القدوة التربوية ، فينظر إليه الجيل الجديد على أنه مربيه وموجهه ، وإليك أهم الصفات التى يسعى إليها المربى - وفقنى الله وإياك إليها :

أ ـ الحِلْمُ والأناة : أخرج مسلم عن ابن عباس - رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ لأشجّ عبد القيس : «إن فيك لخصلتين يحبهما الله : الحِلْم والأناة» .

وهذه قصة لطيفة ، تبين أهمية الحلم والأناة فى بناء أخلاق الجيل الجديد . قال عبد الله بن طاهر : «كنتُ عند المأمون يوماً ، فنادى الخادم : ياغلام ، فلم يُجبه أحد، ثم نادى ثانياً وصاح : يا غلام ، فدخل غلام تركى ، وهو يقول : أما ينبغى للغلام

(١) انظر : الجامع فى السيرة النبوية ، تأليف سمير زايد (١/ ٢٠٦) ، ففيه تفصيلات أخرى .

أن يأكل ويشرب ؟ كلما خرجنا من عندك ، تصيح : ياغلام ، ياغلام ، إلى كم ياغلام! فنكس المأمون رأسه طويلاً ، فما شككت فى أن يأمرنى بضرب عنقه ، ثم نظر إلىَّ فقال : ياعبد الله ، إن الرجل إذا حسَّن أخلاقه ، ساءت أخلاق خَدمه ؛ وإنا لا نستطيع أن نُسِيء أخلاقنا ، لنحسِّن أخلاق خدمنا»[1].

ب ـ **الرفق والبعد عن العنف** : أخرج مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : «إن الله رفيق ، يحب الرِّفْقَ ، ويعطى على الرِّفْق ما لا يُعطى على العُنْفِ ، وما لا يعطى على ما سواه» . وعنها أن النبى ﷺ قال : «إن الله رفيق ، يحب الرفق فى الأمر كله» متفق عليه .وعنها أيضاً أن النبى ﷺ قال : «إن الرفق لا يكون فى شيء إلا زانَه ولا يُنزع من شيء إلا شانه» . رواه مسلم .

وأخرج مسلم عن جرير بن عبد الله ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من يُحرم الرِّفْقَ ؛ يُحْرَم الخير كله» .

وروى أحمد عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ قال لها : «يا عائشة ، ارفقى ، فإن الله إذا أراد بأهل بيت خيراً دَلَّهم على الرِّفْقِ» . وفى رواية : «إذا أراد الله بأهل بيت خيراً ، أدخل عليهم الرفق» .

وعن أبى هريرة ﷺ قال : كنا نصلى مع رسول الله ﷺ العشاء ، فكان يصلى ، فإذا سجدت وثبَ الحسنُ والحسينُ على ظهره ، وإذا رفعَ رأسَه أخذهما ، فوضعهما وضعاً رفيقاً ، فإذا عاد عادا ، فلما صلى جعل واحداً ها هنا وواحداً ها هنا ، فجئْتُه ، فقلتُ : يا رسول الله ، ألا أذهبُ بهما إلى أمهما ؟ قال «لا» ، فبرقت برقة فقال : «الحقا بأمكما» فما زالا يمشيان فى ضوئها حتى دخلا .رواه الحاكم فى مستدركه (٣/ ١٦٧) وقال : صحيح الإسناد ؛ ولم يخرجاه ، وقال الذهبى : صحيح .

وروى أبو هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال : «عَلِّموا ولا تُعنِّفوا ، فإن المُعَلِّمَ خيرٌ من

(١) تربية الأولاد فى الإسلام للشيخ عبد الله علوان - رحمه الله - (٢/ ٢٨٥) .

المُعَنِّف » رواها ابن عدى والبيهقى فى شعب الإيمان ورمز السيوطى لضعفه [1].

وإليك عزيزى القارئ : هذه القصة البديعة فى موعظتها ، لنرى تعامل السلف الصالح وحلمهم :

روى أن غلاماً لزين العابدين كان يصبّ له الماء بإبريق مصنوع من خزف ، فوقع الإبريق على رجل زين العابدين ، فانكسر ، وجرحت رجله ، فقال الغلامُ على الفور : يا سيدى ، يقول الله تعالى : ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾ [آل عمران : ١٣٤] فقال زين العابدين : لقد كظمتُ غيظى ، ويقول : ﴿ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١٣٤] فقال : لقد عفوتُ عنك ، ويقول : ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران]، فقال زين العابدين: أنت حرٌّ لوجه الله [2].

جـ ـ القلب الرحيم : عن أبى سليمان مالك بن الحويرث ﷺ قال : أتينا رسول الله ﷺ ونحن شَبَبَةٌ متقاربون ، فأقمنا عنده عشرين ليلة ، وكان رسول الله ﷺ رحيماً رفيقاً ، فظن أنا قد اشتقنا أهلنا ؛ فسألنا عمن تركنا من أهلنا ، فأخبرناه ، فقال : «ارجعوا إلى أهلكم ، فأقيموا فيهم ، وعلِّموهم ، وبرُّوهم ، وَصَلّوا كذا فى حين كذا، وصلوا كذا فى حين كذا ، فإذا حضرت الصلاة ، فليؤذن أحدكم ، وليؤمكم أكبركم» . متفق عليه .

وروى البزار عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : «إن لكل شجرة ثمرة ، وثمرة القلب الولد ، إن الله لا يرحم من لا يرحم ولده ؛ والذى نفسى بيده ، لا يدخل الجنة إلا رحيم» . قلنا : يا رسول الله ، كلنا يرحم ، قال : «ليس رحمته أن يرحم أحدكم صاحبه ، وإنما الرحمة أن يرحم الناس» .

وعن أبى أمامة ﷺ قال : أَبْصَر النبىُّ ﷺ امرأةً معها صبيتان ؛ قد حملت إحداهما وهى تقود الأخرى ، فقال رسول الله ﷺ : «والدتٌ حاملاتٌ رحيمات ،

(١) انظر : الجامع الصغير ٣/ ٣٢٨ .

(٢) تربية الأولاد فى الإسلام للشيخ عبد الله علوان - رحمه الله - (٢/ ٢٨٥) .

لولا ما يأتين إلى أزواجهن لدخل مُصلِّياتهن الجنة» . رواه الحاكم فى مستدركه (٤/ ١٧٣) وقال : صحيح الإسناد على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ، وقد أعضله شعبة عن الأعمش .

وعن أبى أمامة ﷺ أن امرأة أتت النبى ﷺ ومعها ولدان ، فأعطاها ثلاث تمرات ، فأعطت كل واحدمنهما تمرة تمرة ، ثم إن أحد الصبيين بكى ، فشققتها ، فأعطت كل واحد منهما النصف ، فقال رسول الله ﷺ : «والدتٌ ، حاملات ، رحيمات بأولادهن ، لولا ما يصنعن بأزواجهن دخل مصلِّياتهن الجنة» . رواه الحاكم فى مستدركه (٤/ ١٧٤) وسكت عنه .

د ـ **أخذ أيسر الأمرين ما لم يكن إثماً** : عن عائشة رضى الله عنها قالت : «ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين قط ، إلا أخذ أيسرهما ، ما لم يكن إثماً ، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه ، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه من شىء قط ، إلا أن تنتهك حرمة الله ، فينتقم الله تعالى» . متفق عليه .

هـ ـ **الليونة والمرونة** : وهنا يجدر بنا فهم الليونة بمعناها الواسع ، وهى : قدرة فهم الآخرين بشكل متكامل ، لا بمنظار ضيق ، وليس معناها : الضعف ، والهوان، وإنما التيسير الذى أباحه الشرع . فعن ابن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ:«ألا أُخبركم بمن يحرم على النار ، أو بمن تحرم عليه النار ؟ تحرم على كل قريب هيّن لـيّن سهل» . رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن [١] .

و ـ **الابتعادُ عن الغضب** : إنّ الغضب والعصبية الجنونية من الصفات السلبية فى العملية التربوية ، بل كذلك من الناحية الاجتماعية . فإذا ملك الإنسان غضبه، وكظم غيظه، كان ذلك فلاحاً له ولأولاده ، والعكس بالعكس .

وقد حَذّر منه النبى ﷺ الرجلَ الذى سأله وصية خاصة له ، فكان جوابه فى

(١) ورواه ابن حبان والخرائطى وأحمد والطبرانى . انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٩٣٨) .

المرات الثلاث : «لا تغضب» رواه البخارى عن أبى هريرة .

كذلك اعتبر ﷺ الشجاعة هى القدرة على عدم الغضب ؛ فعن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «ليس الشديد بالصُّرَعَة ، إنما الشديدُ الذى يملك نفسه عند الغضب» . متفق عليه .

ومما يروى أن زين العابدين بن الحسن - رضى الله عنهما - استدعى غلاماً له ، وناداه مرتين ، فلم يُجبه ، فقال له زين العابدين : أما سمعتَ ندائى ؟ فقال : بلى ، قد سمعته ، قال : فما حملك على ترك إجابتى ؟ قال : أمنتُ منكَ ، وعرفتُ طهارةَ أخلاقِك فتكاسلتُ، فقال : الحمد لله الذى أَمِنَ منى غلامى[1].

ز ـ **الاعتدالُ والتوسط** : إن التطرف صفة ذميمة فى كل الأمور ؛ لهذا نجد أن رسول الله ﷺ يحب الاعتدال فى عمود الدين ، فما بالك فى باقى الأمور الحياتية الأخرى ، والتى أهمها العملية التربوية ؟

فعن أبى مسعود عقبة بن عمرو البدرى ﷺ قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : إنى لأتأخر عن صلاة الصبح ، من أجل فلان ؛ مما يُطيل بنا ، فما رأيت النبى ﷺ غضب فى موعظة قط ، أشد مما غضب يومئذٍ . فقال : «يا أيها الناس ، إن منكم مُنفرين ، فأيكم أمّ الناس فليوجز ، فإن من ورائه الكبير ، والصغير ، وذا الحاجة» . متفق عليه .

ح ـ **التخولُ بالموعظة الحسنة**: إن كثرة الكلام فى كثير من الأحيان لا تؤتى أكلها، فى حين نجد أن التخول بالموعظة الحسنة تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها؛ لذلك نصح الإمام أبو حنيفة ﷺ تلاميذه بقوله[2]:«لا تُحدث فقهك من لا تشتهيه».

كما أن الصحابة أدركوا هذا من فعل النبى ﷺ ، فعن أبى وائل شقيق بن سلمة

---

(١) تربية الأولاد (٢/ ٣٥٢) .

(٢) مقدمة حاشية ابن عابدين .

قال : كان ابن مسعود ﷺ يُذكرنا فى كل خميس مرة ، فقال له رجل : يا أبا عبد الرحمن ، لوددتُ أنك ذكرتنا كلَّ يوم فقال : أما إنه يمنعنى من ذلك أنى أكره أن أملّكم ، وإنى أتخولكم بالموعظة ؛ كما كان رسول الله ﷺ يتخولنا أى : يتعهدنا بها ؛ مخافة السآمة علينا» . متفق عليه .

٦ ـ بشرى سارة للوالدين فى بركة الأولاد عليهم :

أخرج مسلم عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال : «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له» .

وروى ابن أبى حاتم[١] عن أبى الدرداء ﷺ قال : «ذَكرنا عند رسول الله ﷺ الزيادةَ فى العمر ، فقال : «إن الله لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها ، وإنما الزيادة فى العمر: أن يرزق الله العبد ذرية صالحة ، يدعون له ، فيلحقه دعاؤهم فى قبره» [٢].

وروى البخارى فى الأدب المفرد ، عن أبى هريرة ﷺ قال : «تُرفع للميت بعد موته درجته فيقول : أىّ ربى ، أى شىء هذا ؟ فيقول له : ولدكَ استغفرَ لكَ»[٣].

وروى أبو يعلى عن أنس ﷺ مرفوعاً : «المولود حتى يبلغ الحِنْث ، ما عمل من حسنة كتبت لوالده أو لوالديه ، وما عمل من سيئة لم تُكتب عليه ولا على والديه»[٤].

٧ ـ الأولاد زينة الحياة الدنيا وفتنتها :

الأبناء هبة الله للإنسان ، تسر الفؤاد مشاهدتهم ، وتقرّ العين رؤيتهم ، وتبتهج النفس بمحادثتهم ، فهم زهرة الحياة الدنيا ، وهذا ما أكدته الآيات الكريمة :

---

(١) ذكره ابن كثير فى التفسير (٤/ ٣٧٣ و٢/ ٥٧٣) .

(٢) رواه الحكيم . انظر : كنز العمال (١٦/ ٢٨١) .

(٣) ورواه الطبرانى فى الأوسط ، وفيه ضعفاء قد وثقوا ، كذا قاله الهيثمى فى المجمع (١٠/ ٢١٠) بألفاظ متقاربة .

(٤) انظر الفتح الربانى فى ترتيب مسند الإمام أحمد للشيخ البنا الساعاتى(٧/ ٥١) .

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ [آل عمران : ١٤]، ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الكهف]، ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴾ [الحديد : ٢٠].

لهذا نجد الكفار انخدعوا بهذه الزينة ، فبدؤوا يتفاخرون بالأولاد ؛ إذ لديهم حاشية تمنعهم ، وظنوا أن الإله راض عليهم ؛ لأنه أعطاهم هذه الكثرة من الأولاد، واستَعْلوا بها على المؤمنين ، فإذا بالآيات تلاحقهم ؛ وتطاردهم ، على هذه الأفكار البالية ، والتفاخر الجاهلي ، وتقرر للمؤمنين أن هذه الكثرة لن تنفعهم ، ولن تغنى من الله شيئاً :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ [آل عمران] ، ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [التوبة] ﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [التوبة]، ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [المؤمنون] ، ﴿ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سبأ].

وقد جاءت الخطابات القرآنية تحذر الإنسان فتنة الأولاد ،من أن يطغى حبهم إلى درجة انتهاك الأوامر الربانية ،وأن يكونوا سبباً لمقت الله وغضبه ؛ لهذا كانت الآيات تقرر: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأنفال] ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [التغابن] ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾ [لقمان] .

أما التهديد والوعيد لمن قدم حب ولده على شرع الله تعالى ، فكان بالشكل التالي :

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[التوبة].

ولكن ما هي الوسيلة عندما يختار الابن طريقاً بعيداً عن الإيمان ، ويسلك سلوك الفجار الفساق – أعاذنا الله من هؤلاء الأبناء – إنها المفاصلة الجسدية ، والشعورية ، والنفسية : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [المجادلة] .

وتستمر دعوة الوالدين لولدهما بالإيمان ، رغم أنفته عليهما ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأحقاف].

ويتابع الوالدان دعوة ولديهما حتى الرمق الأخير ، كما فعل سيدنا نوح- عليه

وعلى نبينا الصلاة والسلام - مع ولده ، فى أشد الساعات حرجاً ساعة إنزال الله تعالى العقوبة بقومه ، ساعة الغرق :

﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [هود] .

وبعد أن هدأت المياه ، وغرق الكفار ، وقف سيدنا نوح يدعو الله ـ تعالى : ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ۖ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۖ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [هود] .

وفى ذلك حكم كثيرة: منها استمرار طلب الولد الصالح من الله تعالى ، وتعليم للأب بمفاصلة ولده على أساس العقيدة ، اللهم ارزقنا أولادًا صالحين برحمتك ياأرحم الراحمين.

ومما يكفِّر فتنة الولد : الصيام ، والصلاة ، والصدقة ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر . كما ورد فى الحديث : أخرج الشيخان والترمذى عن حذيفة فى حديث طويل قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «فتنة الرجل فى أهله ، وماله ، ونفسه ، وجاره يكفِّرها : الصيام، والصلاة ، والصدقة ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر» .

رزقنا الله جميعاً الولد الصالح الذى يُعيننا على طاعة الله ، ويذكِّرنا إن نسينا ، وينصحنا إن ابتعدنا .

٨ ـ صراع الشيطان مع الإنسان على الذرية :

ثم إن هناك صراعاً بين الإنسان والشيطان على الذرية والأولاد ، فالشيطان أقسم أن

يسعى لإبعاد الذرية عن منهج الله ، ويصرفهم عن طاعته ، وهذا ما أخبرنا به سبحانه وتعالى ؛ لنكون على بينة من أمرنا ، فنتبه لذلك ، وقد خصص الله تعالى لنا فترة الطفولة البريئة ، لنكسبها جولة قبل الشيطان ، فإذا ما خسرها الوالدان فإن جولة أساسية قوية قد فاتتهما ، فهما بحاجة إلى جهد أكثر ، وعمل أكبر فى المستقبل ، لإصلاح ولدهما :﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [الإسراء] .

وأخرج الإمام مسلم عن عياض بن حمار ، أن رسول الله ﷺ قال : «قال الله تعالى :إنى خلقْتُ عِبادى حُنفاء ، فجاءَت الشياطينُ فاجْتالتهم» .

وأمام ظاهرة الأبوة والأمومة ، نلاحظ صنفاً من الناس قد امتحنهم الله بفقدان هذه النعمة ، واختبرهم بحرمانها ؛ لحكمةيقتضيها سبحانه ، ولكى تبقى القلوب موجهة إليه ، تجأر إليه بالدعاء فى طلب الولد ، وخاصة الولد الصالح : ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَـٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَـٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الشورى] .

ولكن المجتمع الجاهلى كان يعالج هذه المشكلة بعملية تعويضية ، وذلك بتبنى أولاد غير أولادهم ، فيربونهم ، وينسبونهم لأنفسهم ، وقد جاءت الآياتُ بإبطال هذه الأفكار ، وإعادة الأمور إلى نصابها ، ونسبة الابن لأبيه الحقيقى :﴿ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّـٰٓـِٔى تُظَـٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَـٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِـَٔابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ

فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ﴾ .

[الأحزاب]

٩ ـ صلاح الوالدين ، وأثره على الأبناء :

إن لصلاح الوالدين – وهما القدوة الحسنة للطفل الناشئ – أثراً كبيراً على نفس الطفل ، فبالإضافة إلى تقواهم لله ، واتباعهم لمنهجه ؛ مع شيء من الجهد ، والتعاون بينهما، ينشأ الطفل على الطاعة والانقياد لله ؛ وهذا ما أكدته الآيةالكريمة : ﴿ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ﴾ [آل عمران: ٣٤] ، ولكن قد نلاحظ خروجاً عن هذه القاعدة ؛ لحكمةٍ يعلمها الله سبحانه ، ولتبقى القلوب حذرة يقظة متنبهة ،تتضرع إليه بطلب الولد الصالح .

وقد نفع صلاح الآباء الذرية والأولاد ؛ فهذا سيدنا الخضر[1] عليه السلام يبنى جداراً متبرعاً ، فيسأله سيدنا موسى عليه السلام عن سبب عدم أخذ الأجر ، فكان جوابه: ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾[2] [الكهف :٨٢] .

وأكده الحديث النبوى كذلك : فعن محمد بن المنكدر قال : قال رسول الله ﷺ:«إن الله عز وجل ليحفظُ المرءَ المسلمَ من بعده فى ولده ، وولد ولده ، وفى داره، والدويرات حوله» . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (١/ ٥٣٨) . وقال محققه : حديث مرسل ، رجاله رجال الصحيح .

وحتى إن الملائكة لتدعو للمؤمن ووالديه وذريته:﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ

(١) كما فى صحيح البخارى :أن اسمه الخضر .

(٢) روى ابن كثير أن الجد السابع كان صالحاً ، فنفع الله به الحفيد . وقال الفخر الرازى فى تفسيره (٢١/ ١٦٢) معلقاً على الآية : «هذا يدل على أن صلاح الآباء يفيد العناية بأحوال الأبناء» . ثم قال : «ولما ذكر رعاية مصالح اليتيمين لأجل صلاح أبيهما إضافة إلى الله تعالى ؛ لأن المتكفل بمصالح الأبناء لرعاية حق الآباء ليس إلا الله سبحانه وتعالى» .

ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [غافر].

فإذا ما نشأت الذرية على الطاعة لله، والدعوة لدينه، كان اللقاء بينهم فى جنات الخلد، كما أخبر به سبحانه، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾ [الطور]. ولهذا قال أحد الصالحين: «يا بنى، إنى لأستكثر من الصلاة لأجلك».

وإن سهلًا التسترى يتعهد ولده، وهو فى صلبه، فيباشر العمل الصالح، رجاء أن يكرمه الله تعالى بالولد الصالح، فيقول: «إنى لأعهد الميثاق؛ الذى أخذه الله تعالى علىّ، فى عالَم الذَّرّ، وإنى لأرعى أولادى من هذا الوقت، إلى أن يخرجهم الله تعالى إلى عالم الشهود والظهور»[1].

وهذا دليل على حرص السلف الصالح على الولد الصالح، رزقنى الله وإياك ذرية صالحة - إنه سميع مجيب.

وروى البيهقى فى كتاب الاعتقاد[2] بسنده إلى ابن عباس: أنه لما نزل: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النجم] أنزل الله تعالى بعد هذا: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١] قال: يعنى بإيمان، فأدخل الله عز وجل الأبناء بصلاح الآباء الجنة.

وفى رواية: «أَلْحَقْنَا بهم ذريتهم» قال ابن عباس: الله - عز وجل - يرفع ذرية المؤمن معه فى درجاته فى الجنة، وإن كانوا دونه فى العمل؛ ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ [الطور: ٢١]. يقول: وما نقصناهم.

وروى ابن شاهين[3] أن الحارثة بن النعمان ﷺ أتى النبى ﷺ وهو يُناجى رجلاً،

---

(١) حاشية ابن عابدين (١/ ٥٣، ط٢).

(٢) كتاب الاعتقاد للحافظ أبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى، المتوفى سنة (٤٥٨هـ) ص (٧٤ - ٧٥).

(٣) ذكره ابن حجر فى الإصابة (١/ ٣١٢).

فجلس ولم يسلم . فقال جبرائيل : وأما إنه لو سلَّم لرددنا عليه ؟فقال لجبرائيل : «وهل تعرفه ؟» فقال : نعم ، هذا من الثمانين الذين صبروا يوم حنين ، رزقهم ، ورزق أولادهم فى الجنة .

وقال سعيد بن المسيب : إنى لأُصلى فأذكر ولدى ، فأزيدُ فى صلاتى ، وقد روى أن الله يحفظ الصالح فى سبع من ذريته ، وعلى هذا يدل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ ﴾ [الأعراف] قاله القرطبى[1] .

وأما الحافظ ابن الجوزى – رحمه الله – الذى لم يصنف أحد مثلما صنف ، فيقول عن نفسه : «فإنى لما عَزَمْتُ شرف النكاح ، وطلب الأولاد ، ختمت ختمة (أى : قرأ القرآن كله) ، وسألت الله تعالى أن يرزقنى عشرة أولاد ، فرزقنيهم»[2] .

وقال ابن عباس – رضى الله عنهما : « إن المعروف ليُجْزَى به ولد الولد»[3] .

١٠ ـ الزواج والمصاهرة :

نعمة الزواج نعمة ربانية للإنسان ، وهو سُنَّة الرسل أجمعين ، جعله الله سُنَّة لاستمرار الحياة البشرية ، بالتزاوج بين الذكر والأنثى ، وهذا الاتصال يتجلى فيه قَدَرُ الله أن جمع الزوجين ، ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [النحل] ، ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ [الرعد : ٣٨] .

وقد وجه الله تعالى الإنسان إلى التفكر فى ظاهرة الزواج هذه ، والتأمل فيها، وهى آية من آياته فى الأرض ، لها عظمتها ، ولها سلطانها على النفس ، بالتوجه إليه

---

(١) انظر : حسن الأسوة ، رقم (٩٤) .

(٢) لفتة الكبد فى نصيحة الولد لابن الجوزى (ص ٢١) .

(٣) رواه الخرائطى فى : مكارم الأخلاق. انظر : المنتقى له (ص ٣٧) .

سبحانه ، فى طلب العون منه ، والإيمان والتصديق بمنهجه : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم] .

وهذه المصاهرة العجيبة التى قدرها الله بين البشر ، ووجهها بعنايته ، ورعاها برعايته : يغذيها بالمودة والرحمة والسكن : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ ﴾ [الفرقان] .

١١ ـ الدعاء عند الجماع رجاء الولد الصالح :

روى عبد الرزاق بإسناده عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : «لو أن أحدهم إذا أتى أهله قال : باسم الله ، اللهم جَنِّبْنَا الشيطان ، وَجَنِّب الشيطانَ ما رُزِقْنَا ، فيولد بينهما ولد ، فلا يصيبه الشيطان أبداً» وأخرجه الشيخان .

وفى رواية : «لو أن أحدهم إذا جامع قال : اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رُزِقْنَا ، فَقُضِى بينهما ولد لم يضره الشيطان إن شاء الله» .

وروى عبد الرزاق عن الحسن قال : إذا أتى الرجل أهله فليقل : «باسم الله ، اللهم بارك لنا فيما رزقتنا ، ولا تجعل للشيطان نصيباً فيما رزقتنا ، قال : فكان يُرجى إن حملت ، أو طلقت أن يكون ولداً صالحاً» .

قال شيخ الإسلام زكريا الأنصارى الشافعى فى كتابه «فتح العلام» ص (٥٣٢) معلقاً على الحديث :

«وفيه سنّ التسمية والدعاء المذكور عند إرادة الجماع ، وأنه إذا قال ذلك وقدِّرَ بينهما ولدٌ ، لم يضرّه الشيطان ، بل يُحفظ مِنْ إضلاله، وإغوائه ، وإن طعنه ، فلا يُنافيه خبر «كل مولود يطعنُ الشيطانُ فى خاصرته إلا ابن مريم فإنه جاء ليطعن فطعن فى الحجاب»[1] ، فالطعن لا يلزم منه الضرر ، بدليل أنه قد طعن كثير من

(١) الخبر رواه البخارى ومسلم .

الأولياء والأنبياء ، ولم يضرهما ذلك ، كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الحجر] ، وكذا لا يلزم من وسوسته له ضرره ، و(لو) فيه للشرط وجوابها : لسلم من الشيطان ، بقرينة قوله : «فإنه ...» إلخ ، وجوّز بعضهم أن تكون للتمنى ، والمعنى : أنه ﷺ تمنى لهم هذا النوع من أنواع الخير يقولونه ليحصل لهم السعادة الأبدية ، وإذا ظرف لقال» .

وأما الاجتهاد فى الحصول على صبى أوبنت ، فقد أرشدت الأحاديث النبوية لكيفية حصول ذلك بإذن الله ـ تعالى ـ مع مراعاة بعض الأسباب[1] :

وروى البخارى عن أنس رضي الله عنه أن عبد الله بن سلام بلغَه مَقْدمُ النبىِّ ﷺ المدينة فأتاه يسأله عن أشياء ... وما بال الولد ينزعُ إلى أبيه أو أمه ؟ فأجاب الرسول ﷺ : «وأما الولَدُ فإذا سَبَقَ ماءُ الرجلِ ماءَ المرأة نَزَعَ الولدُ ، وإذا سَبَقَ ماءُ المرأة ماء الرجل نزعت الولد ، قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسولُ الله ... الحديث» . ورواه الإمام أحمد .

وروى مسلم عن عائشة رضى الله عنها أن امرأةً قالت لرسول الله ﷺ : هل تغْتسلُ المرأةُ إذا احتلمت وأبصرت الماء ؟ فقال : «نعم» ، فقالت لها عائشة: تَربتْ يداكِ وألّت ،قالت:فقال رسول الله ﷺ :«دعيها وهل يكون الشبه إلا من قبل ذلك، إذا علا ماؤها ماءَ الرجل أشبه الولدُ أخواله ، وإذا علا ماءُ الرجل ماءها : أشبه أعمامَه» . رواه البخارى والترمذى والنسائى وابن ماجه وأحمد ومالك والدارمى .

وروى مسلم عن ثوبان أن حبراً من أحبار اليهود جاء يسأل النبى ﷺ ... قال : جئتُ أسألك عن الولد ؟ قال : ماءُ الرجل أبيضُ وماء المرأة أصفرُ ، فإذا اجتمعا ، فعلا مَنِىُّ الرجل المرأة أذكرا بإذن الله ، وإذا علا مَنِىُّ المرأةِ مَنِىَّ الرجل آنثا بإذن الله ،

(١) الاجتهاد فى طلب الصبى أو البنت ، مثل الاجتهاد فى طلب الرزق ، فقد يسعى كثيراً ويرزق قليلاً ، فالاجتهاد فى الطلب جائز ، والباقى على الله ـ تعالى ـ فى تحقيق كل المراد أونصفه أو ثلثه أولا ، والله أعلم.

قال اليهودى : لقد صدقتَ وإنك لنبى» .

وروى النسائى عن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :«ماءُ الرجل غليظٌ أبيض، وماء المرأة رقيق أصفر ، فأيهما سَبَقَ كان الشَّبَهُ» ، وفى رواية ابن ماجه: «فأيهما سَبَقَ أو علا أشبَهَهُ الولدُ» . وفى رواية أحمد : «فإذا سبق ماءُ الرجل ماءَ المرأة نَزَعَ إليه الولد ، وإذا سبق ماءُ المرأة ماءَ الرجل نزع إليها» . وفى رواية لأحمد أيضاً : «إذا سبق ماءُ الرجل ماءَ المرأة ذهب بالشبه ، وإذا سبق ماءُ المرأة ماءَ الرجل ذهبت بالشبه» .

قال الإمام القرطبى فى (المفهم) ١/ ٥٧٢ : «وقد بنى القاضى أبو بكر بن العربى على اختلاف هذه الأحاديث بناءً ، فقال : إن للماءين أربعة أحوال :

الأول : يخرجَ ماءُ الرجل أولًا .

والثانى : أن يخرجَ ماءُ المرأة أولًا .

والثالث : أن يخرجَ ماءُ الرجلِ أولًا، ويكون أكثر .

والرابع : أم يخرج ماءُ المرأة أولًا، ويكون أكثر .

ويتم التقسيم :

ـ بأن يكون ماءُ الرجل أولًا، ثم يخرج ماء المرأة بعده ، فيكون أكثر ، أو بالعكس .

ـ وبالعكس فإذا خرج ماء الرجل أولًا، وكان أكثر ، جاء الولد ذكرًا، بحكم السبق ، وأشبه الولد أعمامه بحكم الكثرة .

ـ وإن خرج ماءُ المرأة أولًا، وكان أكثر ، جاء الولد أنثى ، بحكم السبق ، وأشبه أخواله بحكم الغلبة .

ـ وإن خرج ماء الرجل أولًا، لكن لما خرج ماء المرأة بعده كان أكثر ، كان الولد

ذكراً بحكم السبق ، وأشبه أخواله بحكم غلبة ماء المرأة .

ـ وإن سبق ماءُ المرأة ، لكن لما خرج ماء الرجل ، وكان أعلى من ماء المرأة ، كان الولدُ أنثى بحكم سبق ماء المرأة ، وأشبه أعمامه بحكم غلبة ماء الرجل .

وقال ـ أى ابن العربى :«وبانتظام هذه الأقسام ،يستتب الكلام ، ويرتفع التعارض عن هذه الأحاديث .» انتهى .

فيتضح أن سبق الماء يحدد الذكورة أو الأنوثة ، وأن كثرة الماء تحدد الشبه بالأعمام أو الأخوال .

فدلت الأحاديث على تعليم النبى ﷺ أصحابه طريقة إنجاب الصبى والبنت مع الاعتقاد الجازم بأن ذلك يتم بإذن الله تعالى ، فالاجتهاد فى الحصول على الصبى أو البنت جائز شريطة الاعتقاد بأنه يتم بإذن الله تعالى فى كل مراحله والله أعلم .

١٢ ـ الطفل لم يك شيئًا:

بعد أن تتم عملية الزواج يتوجّه الزوجان ويطلبان من الله تعالى النسل الطيب ، وأن يمنّ عليهم بالذرية الصالحة ، وكلما تأخرت هذه النعمة ازداد الزوجان طلبًا وإلحاحًا على الله ، وهنا يتذكر الإنسان آية من كتاب الله تذكره أنه لم يك شيئًا، وأن الذى أتى به إلى هذا العالم هو الله،فحق على الإنسان أن يقدم العبودية لمن أوجده : ﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝١ ﴾ [الإنسان] .

١٣ ـ الطفل نطفة :

وجهت الآيات الإنسان للتفكير فى أصله ، وفى المواد المركب منها ؛ ليتعرف على نعمة الله عليه ، فلا يتكبر ، ولا يتعجرف ، ولا يستكبر ، ولا يستنكف عن عبادة الله: ﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ ﴾ [الطارق] ، ﴿ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ۝١٧ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن

نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [عبس]، ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [الواقعة]، ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الإنسان].

١٤ ـ لمحة عن التصوير فى الأرحام، وتطوير الجنين:

بعد أن يتم التلاحم بين الماء من صلب الرجل ومن ترائب المرأة، تبدأ عملية تشكيل الجنين الأولى، والله تعالى يحدد ذكرًا أم أنثى، وتبدأ معها عملية التصوير: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾ [آل عمران]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾ [الحج]، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [فاطر]، ﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ [الزمر: ٦].

وهنا تبدأ عملية الحمل، ورعاية الله للجنين الجديد، أما نفسية الأم الحاملة تتأثر وتعانى من آلام لم تجدها من قبل، وهذا صورته الآية: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا﴾ [الأحقاف: ١٥]. أما أقل الحمل فهى ستة أشهر

﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ﴾ [الأحقاف :١٥] . فالحمل والرضاع يساوى ثلاثين شهراً . وبما أن الرضاع سنتان ، فتبقى فترة الحمل ستة أشهر . وهذا ما أفتى به على - كرم الله وجهه - أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنهما .

وقد جمع هذا التطور الجنينى حديث البخارى ومسلم عن ابن مسعود ﷺ قال:حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق :«إن أحدكم يُجمع خَلْقُهُ فى بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقةمثل ذلك ، ثم يكون مضغةً مثل ذلك ، ثم يُرْسَلُ الملك ، فَينْفُخ فيه الروح ، ويُؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقى أو سعيد».

أما كيفية توزيع خلقة الطفل ووراثته من أبيه وأمه ، فقد روى الإمام أحمد بسند حسن عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : مَرّ رجل يهودى برسول الله ﷺ وهو يُحدِّثُ أصحابَه ، فقالت قريشٌ : يا يهودى ، إن هذا يَزْعُمُ أنه نبىٌ ، فقال : لأسألَنَّهُ عن شىء لا يعلمَهُ إلا نبى . قال : فجاء ، حتى جلس ؛ ثم قال : يا محمد ، مِمَّ يُخلقُ الإنسانُ ؟ قال : «يا يهوديُّ من كُلٍّ يُخلَقُ : من نُطفة الرجل ، ومن نُطفةِ المرأة ، فأما نُطفةُ الرجل فنطفة غليظةٌ منها العَظْمُ والعَصَبُ وأما نُطفةُ المرأةِ : فنُطفةٌ رقيقةٌ : منها اللحمُ والدم» فقام اليهوديُ فقال : هكذا كان يقولُ من قَبْلَكَ .

وروى الإمام أحمد بسند صحيح عن أم سلمة وأم سُلَيم - رضى الله عنهما - قالت : يا رسول الله ، المرأة ترى زوجها فى المنام يَقَعُ عليها ، أَعَلَيْها غُسْلٌ ؟ قال : «نعم إذا رأتْ بَلَلاً» ، فقالت أم سلَمةَ : أو تَفْعَلُ ذلك ؟ فقال : «تَرِبَتْ يمينُكِ ، أنَّ يأتى شَبَهُ الخُؤُولَةِ إلا من ذلك ، أىُّ النُطفتين سبقتْ إلى الرحِمِ غلَبتْ على الشَّبَه» . وروى بعضه البخارى ومسلم والترمذى .

ولا بد من التحذير من سجع الكهان والعرافين الذين تنخدع بهم كثير من النساء فى القديم والحديث ، والمؤمنة تعلم أن كل شىء بأمر الله وقدره ، ولا تأثير

لسجع وتمتمات الكهان.

روى الإمام أحمد بسند حسن عن أبى سعيد الخدرى ﷺأنهم خرجوا مع رسول الله ﷺ فى سَفَرٍ ، فنزلُوا رُفَقَاءَ ، رُفْقَةٌ مع فلانٍ ، ورُفْقَةٌ مع فلانٍ ، قال : فنزلتُ فى رُفْقَةِ أبى بكر ﷺ فكان معنا أعرابىٌ من أهل البادية ، فنَزَلنا بأهل بيت من الأعراب ، وفيهم امرأة حاملٌ ، فقال لها الأعرابىُّ : أيَسُرُّك أن تَلِدى غلاماً ، إن أَعْطيْتنى شاةٌ وَلَدْتِ غلاماً ، فأعطتْهُ شاةً ، وسَجَعَ [1] لها أساجيعَ ، قال : فذبَحَ الشاةَ ، فلما جلسَ القومُ يأكلون قال رجلٌ : أتدرونَ ما هذه الشاةُ ؟ فأخبرَهم، قال : فرأيتُ أبا بكرٍ مُتَبَرِّيا مُسْتَنْبلًا مُتَقَيِّئًا»[2] .

١٥ ـ العلاج النبوى للعقيم :

روى أبو حنيفة فى مسنده عن جابر بن عبد الله - رضى الله تعالى عنهما : أنه جاء رجل من الأنصار إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ، ما رُزِقْتُ ولدًا قط ، ولا وُلِدَ لى، قال ﷺ : «فأينَ أنتَ من كثرة الاستغفار ، وكثرة الصدقة تُرْزَقُ بها» . قال : فكان الرجل يُكْثر الصدقة ، ويكثر الاستغفار ، قال جابر : فولد له تسعة ذكور .

قال العلامة ملا على القارى فى شرحه على الحديث : ولعله مقتبس من قوله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام : ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [نوح] .

وقد ورد : «من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل غمٍّ فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب» . رواه أحمد والحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما [3].

---

(١) السَّجع : الكلام المقفى غير الشعر .

(٢) مُتَبَرِّيا : أى معترضاً له ، مُستَنْبلاً : أى تهيأ للشىء واستعد له ، والمراد : تهيأ للقىء ، القىء استخراج ما فى الجوف عمداً .

(٣) شرح مسند أبى حنيفة لعلى القارى (ص ٥٨٧) .

١٦ ـ عقاب من تبرأ من ولده ، أو أحد والديه :

عن ابن عمر – رضى الله عنهما – قال : رسول الله ﷺ : «من انتفى من ولده ؛ ليفضحه فى الدنيا ، فضحه الله تبارك وتعالى يوم القيامة على رؤوس الأشهاد ؛ قصاص بقصاص» . رواه أحمد ، والطبرانى فى الكبير والأوسط ، ورجال الطبرانى رجال الصحيح خلا عبد الله بن أحمد ، وهو ثقة إمام ، قاله الهيثمى فى المجمع (٥/ ١٥) .

وعن معاذ بن أنس عن النبى ﷺ أنه قال : «إن لله تعالى عباداً لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم ، ولا ينظر إليهم» ، قيل : مَنْ أولئك يا رسول الله ؟ قال : «متبرئ من والديه ؛ راغب عنهما ، ومتبرئ من ولده» . رواه أحمد ، والطبرانى ، وزاد: «ولهم عذاب أليم» ، وفيه : زبان بن فائد ، ضعفه أحمد وابن معين ، وقال أبو حاتم : صالح ، كذا قاله الهيثمى (٥/ ١٥) .

وروى أحمد بإسناد صحيح وابن ماجه وأبو يعلى والبغوى وابن قانع وابن منده والطبرانى وسعيد بن منصور ، أن الخشخاش العنبرى قال : أتيت النبى ﷺ ، ومعى ابن لى، قال : فقال (أى : النبى ﷺ) : « ابنك هذا» قال : قلت : نعم ، قال : «لا تجنى عليه ، ولا يجنى عليك»[1] .

وروى الحاكم وقال : صحيح الإسناد ، وأقره الذهبى ، عن أبى رمثة قال : انطلقت مع أبى نحو رسول الله ﷺ ؛ فسلم عليه أبى ، وجلسنا ساعة، فقال رسول الله ﷺ لأبى : «ابنك هذا ؟» قال :إى ورب الكعبة ، قال : «حقًا» قال : أشهد به، فتبسم رسول الله ﷺ ضاحكًا من ثبت شبهى بأبى ، ومن حلف أبى على ذلك قال : ثم قال : «أَمَا إن ابنك هذا لا يجنى عليك ، ولا تجنى عليه» ، قال : وقرأ رسول الله ﷺ : ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ إلى قوله تعالى: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ ﴿٥٦﴾﴾

[النجم] .

---

(١) انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٩٩٠).

وعن أبى ذر ﷺ أنه سمعَ رسولَ الله ﷺ يقولُ : «ليسَ مِنْ رجل ادّعى لغير أبيه، وهو يعلمه ، إلا كفرَ ، ومن ادّعى ما ليس له فليسَ منا ، وليتبوأ مقعده من النار، ومن دعا رجلًا بالكفر ، أو قال : عَدُوّ الله وليس كذلك ، إلا حار عليه» رواه أحمد والبخارى ومسلم . قال القرطبى فى شرح الحديث [1].

«وقوله : ليس من رجل ادعى لغير أبيه ، وهو يعلمه ، إلا كفر ، أى : انتسب لغير أبيه، رغبةً عنه ، مع علمه به ، وهذا إنما يفعله أهلُ الجفاءِ والجهل والكبرِ ؛ لخَسّةِ منصبِ الأب؛ ودناءتهِ ، فيرى الانتسابَ إليه عارًا، ونقصًا فى حقه ، ولا شك فى أن هذا مُحَرَّم و معلوم التحريم ، فمن فعل ذلك مستحلاً فهو كافرٌ حقيقةً ، فيبقى الحديثُ على ظاهره ، وأما إن كان غيرَ مستحل ، فيكون الكفرُ الذى فى الحديث محمولاً على كُفران النِّعم والحقوق ، فإنه قابَلَ الإحسانَ بالإساءة ، ومن كان كذلك صدقَ عليه اسم : الكافر ، وعلى فعله : أنه كَفَرَ ، لُغةً وشرعاً ، على ما قرَّرْناهُ ، ويُحتملُ أن يقال : أطلق عليه ذلك ؛ لأنه تَشَبَّهَ بالكفار أهل الجاهلية ، أهل الكبر والأَنَفَةِ ، فإنهم كانوا يفعلون ذلك ، والله تعالى أعلم»[2].

وعن سعد بن أبى وقّاص وأبى بَكْرَةَ ، كِلاهُما قال : سَمِعَتْهُ أُذُنَاىَ ، ووعَاهُ قلبى، محمداً ﷺ يقول : «مَنِ ادّعى إلى غير أبيه ، وهو يعلمُ أنه غير أبيه ، فالجنّةُ عليه حرامٌ» . رواه أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود وابن ماجه .

وفى عصرنا ظهر مفسدة الأبناء المثقفين حملة الشهادات والمناصب ، بالتبرى من آبائهم بصور مختلفة ، محزنة مبكية ، تشمئز منها النفوس والعياذ بالله .

١٧ ـ المواصفات النبوية للبيت الصالح :

بيّن الرسول ﷺ فى عدد من الأحاديث صفات البيت الصالح الذى تعيش فيه

(١) كتاب : المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١/ ٢٥٤) تحقيق مجموعة من الأساتذة ، نشر دار ابن كثير (دمشق – بيروت) .
(٢) يطلب بقية شرح الحديث من المصدر السابق .

الذرية الصالحة ، وبقدر ما يلتزم الوالدان بتوفير تلك الصفات ، بقدر ما يلتزم أطفالهم بذلك .

أ ـ **إعمار البيت بذكر الله تعالى** : روى الإمام مسلم عن أبى موسى الأشعرى ﷺ: أن النبى ﷺ قال : «مَثَلُ البيتِ الذى يُذكَرُ الله فيه ، والبيت الذى لا يُذكرُ الله فيه: مَثَلُ الحىّ والمَيِّت» ،

وقال ﷺ: «إن البيت الذى يُذكرُ فيه اسمُ الله ليضيء لأهل السماء ، كما تُضيء النجوم لأهل الأرض» . رواه أبو نعيم فى «المعرفة» عن سابط ، كنز العمال (١/ ٤٢٤) .

ب ـ **إعمار البيت بالرفق** : قال ﷺ: «إذا أراد الله بأهل بيتٍ خيرًا أدخل عليهم الرفق» . رواه الإمام أحمد (٦/ ٧١) ، وقال الهيثمى : ورجال أحمد رجال الصحيح (المجمع ٨/ ١٩) ، وصححه المناوى فى فيض القدير (١/ ٢٦٣) .

جـ ـ **حرمة تعليق الصور** : روى البخارى عن عائشة – رضى الله عنها – قول النبى ﷺ : «إن البيت الذى فيه صورٌ لا تدخلُهُ الملائكة» . ورواه مسلم وأحمد ومالك ، وروى النَّسائى عن أبى الهيَّاج قال : قال علىٌ ﷺ: أَلاَ أَبْعَثُكَ على ما بَعَثنى عليه رسولُ الله ﷺ : «لا تَدَعَنَّ قَبْراً مُشْرِفَاً إلا سَوَّيْتَهُ ، ولا صورةً فى بيتٍ إلا طَمَسْتَها» . ورواه مسلم والترمذى وأبو داود وأحمد .

د ـ **إعمار البيت بتلاوة القرآن** : روى الدارمى بسند صحيح أن أبا هريرة ﷺ كان يقول : إن البيت ليتسعُ على أهله ، وتحضُرُه الملائكةُ ، وتهجُرُه الشياطينُ ، ويكثرُ خيرهُ أن يُقرأ فيه القرآن ، وإن البيتَ ليضيقُ على أهلهِ وتهجُرُهُ الملائكةُ وتحضُره الشياطينُ، ويَقِلّ خيرهُ أن لا يُقرأ فيه القرآن» .

وروى الدارمى بسند حسن عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال :« لا أُلْفينَّ أحدَكُم يضعُ إحدى رجليه على الأخرى ، يتغنَّى ، ويدع أن يقرأ سورة البقرة، فإن الشيطان

يفِرُّ من البيت يُقرأ فيه سورةُ البقرة ، وإن أصفرَ [1] البيوتِ الجَوْفُ ، يَصْفَرُ من كتاب الله »، وروى مسلم عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «لا تَجعلوا بيوتكم مقابرَ ، إن الشيطان ينفِرُ من البيت الذى تُقرأُ فيه سورة البقرة» . ورواه الترمذى وأبو داود وأحمد .

هـ - **إعمار البيت بالنوافل** : عن عائشة رضى الله عنها قالت : جئتُ ورسولُ اللهﷺ يُصلى فى البيت ، والبابُ عليه مغلق ، فمشى حتى فَتَحَ لى ، ثم رجع إلى مكانه، ووصفت الباب فى القبلة» . رواه الترمذى وقال : حديث حسن غريب . ورواه النسائى وأبو داود وأحمد .

و- **إعمار البيت بأهل الصلاح والتلقى وإبعاد أهل الأهواء والفلسقة** : روى النسائى عن على – كرم الله وجهه – أنه قال : حدثنى النبى ﷺ بأربع كلمات وأنا وهو فى البيت ، فقال : «لعن الله من لعن والديه ، ولعن الله من ذبح لغير الله ، ولعن الله من آوى مُحْدِثَاً ، ولعن الله من غيَّرَ منار الأرض» ،وروى مسلم عن أنسﷺ أن جدته مُلَيْكَةَ دعتْ رسولَ الله ﷺ لطعام صنعته ، فأكل منه ، ثم قال : «قوموا ، فأصَلِّىَ لكم» ، قال أنس بن مالك : فقمتُ إلى حصير لنا قدِ اسْوَدّ من طولِ ما لُبِسَ ، فَنَضَحْتُهُ بماءٍ ، فقام عليه رسولُ الله ﷺ ، وصَفَفْتُ أنا واليتيمُ وراءَهُ ، والعجوزُ من ورائنا ، فصّلَى لنا رسولُ الله ﷺ ركعتين، ثم انصرف» . ورواه البخارى والترمذى والنسائى وأبو داود وابن ماجه ومالك والدرامى وأحمد .

فإعمار البيت بأهل الصلاح والعلماء يُضفى على البيت روحًا جديدة؛ إذ يتفاعل أطفال البيت مع الزائر الجديد ، ويأتون إليه فيقبلهم ويدعو لهم ، ويذكر الله تعالى فى بيوتهم . ويقوم فيصلى فيه ، فيشاركه أطفال البيت ، فتتأجج مشاعرهم الإيمانية ويرون أن المجتمع فيه رجال صالحون .

وروى ابن ماجه عن أنس ﷺقال : صنع بعضُ عمومتى للنبى ﷺ طعامًا ، فقال

(١) الصفر :الخالى من كل شىء أى: أكثرها خلوا.

للنبى ﷺ : إنى أحب أن تأكل فى بيتى ، **وتصلى** فيه ، قال : فأتاه ، وفى البيت فَحْلٌ من هذه الفحول ، فأمَرَ بناحيةٍ منه فكُنِّسَ ، ورُشَّ ، فصلى وصلَّينا معه» . قال ابن ماجه : الفحل هو الحصير الذى قد اسودّ ، ورواته ثقات ؟

ز ـ **الإكثار من قول الخير فى البيت وخاصة عند الوفاة** : روى ابن ماجه عن شداد بن أوس قال:قال رسول الله ﷺ:«إذا حضرتم موتاكم فأغمضوا البصر،فإن البصر يتبع الروح،**وقولوا** خيرا،فإن الملائكة تؤمن على ما قال أهل البيت»رواه أحمد.

ح ـ **الحفاظ على نعمة الطعام، والخبز فى البيت، وعدم رميهم**: روى ابن ماجه.بسند ضعيف – عن عائشة رضى الله عنها قالت : دخلَ النبىُّ ﷺ البيتَ ، فرأى كِسْرَةً ملقاةً فأخذها ، فمسحَهَا ، ثم أكلها ، وقال : «يا عائشة ، أكرمى كريمًا، فإنها ما نَفَرَتْ عن قومٍ قطُّ فعادت إليهم» .

ط ـ **إكرام الضيف بذبح البعير أو غيره** : روى ابن ماجه بسند ضعيف – عن أنس ﷺقال :قال رسول الله ﷺ : «الخير أسرع إلى البيت الذى يُغشى من الشفْرةِ إلى سِنام البعير» . وفى رواية : «الخير أسرعُ إلى البيت الذى يُؤكل فيه من الشفرة إلى سِنام البعير» . الشفرة السكين العريض .

ى ـ **لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب أو جنب أو صورة روح** : روى الإمام أحمد أن النبى ﷺ آتاه جبريل فقال له : اخرج إلىَّ ، فلما حرج النبى ﷺ قال له جبريل : إن فى بيتك شيئاً لا يدخله مَلَك ما دام فيه ، قلت : ما أعلمُهُ يا جبريل ، قال : اذهب ، فانظر ، ففتحت البيت فلم أجد فيه شيئاً غير جَرْو كلب كان يلعب به الحسن ، قلتُ : ما وجدتُ إلا جَرْواً ، قال جبريل : إنها ثلاثٌ لن يَلجَ مَلَكٌ ما دام فيها أبداً واحدٌ منها: كلبٌ ، أو جنابةٌ أو صورةُ روح» . ورواه النسائى وابن ماجه والدارمى.

ولكن رخص النبى ﷺ فى الكلب المفيد للصيد أو الحرث أو الغنم ، ونهى عن

غيرهم : روى الترمذى – وقال : حديث حسن – عن عبد الله بن مُغَفَّلٍ قال : إنى لِمَّن يرفعُ أغصانَ الشجرةِ عن وجهِ رسولِ الله ﷺ وهو يخطُبُ ، فقال : «لولا أن الكلابَ أُمَّةٌ من الأمم لأمرتُ بقَتْلها ، فاقتُلُوا منها كُلَّ بهيمٍ ، وما من أهل بيتٍ يرتبِطُون كَلبةً إلا نَقَصَ من عملهم كلَّ يوم قراطٌ ، إلا كَلْبَ صَيْدٍ ، أو كلبَ حَرْثٍ ، أو كلب غَنَمٍ» . ورواه مسلم والنسائى وأبو داود وابن ماجه وأحمد .

وأما حرمة وجود التماثيل فقد روى البخارى أن مسروقًا رأى فى دار يسار بن نُميرَ فى صُفّتِهِ تماثيل ، فقال : سمعت عبد الله (أى : ابن مسعود) ﷺ قال : سمعتُ النبى ﷺ يقولُ : «إن أشدَّ الناسِ عذابًا عند الله يوم القيامة المُصَوِّرُون» . ورواه مسلم والنسائى وأحمد .

ك ـ **التسوك والوضوء وقيام الليل** : روى الإمام أحمد بسند صحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه بات عند نبى الله ﷺ ذات لَيلة ، فقام نبىُّ الله ﷺ من الليل ، فخرج ، فنظر إلى السماء ، ثم تلا هذه الآية التى فى آل عمران: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝ ﴾ [آل عمران] ، ثم رجع إلى البيت ، فتسوك وتوضأ ، ثم قام فصلى ، ثم اضطجع ، ثم قام فخرج ، فنظر إلى السماء ، ثم تلا هذه الآية ، ثم رجع فتسوك ، وتوضأ ، ثم قام فصلى». رواه ـ أيضاً ـ البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وأبو داود وابن ماجه ومالك والدارمى .

ل ـ **إغلاق الباب وإطفاء المصابيح أثناء النوم مع التسمية** : روى البخارى عن النبى ﷺ قال : «إذا اسْتَجْنَح الليلُ أو قال : جُنْحُ الليل : فكفُّوا صبيانكم ، فإن الشيطان تنتشر حينئذ ، فإذا ذهب ساعةٌ من العشاء فخلّوهم ، وأغلِقْ بابَك واذكر اسم الله ، وأطفِئ مصباحكَ واذكر اسم الله وأوْكِ (أى غطِّ) سِقَاءك واذكر اسم الله، وخَمِّر إناءكَ واذكر اسم الله ، ولو تعرُضُ عليه شيئًا» . ورواه مسلم والترمذى والنسائى وأبو داود وابن ماجه ومالك وأحمد والدارمى .

وروى مسلم – كتاب الأشربة – عن أبى موسى ﷺ قال : احترق بيتٌ على أهله بالمدينة من الليل ، فلما حُدِّثَ رسولَ الله ﷺ بشأنهم قال : «إن هذه النارَ إنما عَدُوٌّ لكم ، فإذا نِمْتُمْ فأطفئوها عَنْكم» . ورواه البخارى وابن ماجه وأحمد .

وروى الإمام أحمد عن أبى ذر ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال : «إن مَرَّ رُجلٌ على بابٍ لا سِتْر له ؛ غير مُغلقٍ ؛ فنظر ؛ فلا خطيئة عليه ، إنما الخطيئةَ على أهل البيت» . ورواه الترمذى .

م ـ **التقليل من زينة البيت ما أمكن** : روى الإمام أحمد – بسند صحيح – أن رجلاً أضافَهُ علىٌّ بن أبى طالب ﷺ فَصنَع له طعامًا، فقالت فاطمةُ : لو دَعَوْنا رسول الله ﷺ ، فَدَعَوْهُ ، فجاء فوضع يده على عِضادَتَى[1] الباب ، فرأى قِرامًا[2] فى ناحيةِ البيت ، فرجع ، فقالت فاطمةُ لعلى : الحَقْهُ ، فقل له : لِمَ رجعتَ يا رسول الله؟ فقال : «إنه ليس لى أن أدخل بيتاً مُزَوَّقاً»[3] ورواه أبو داود وابن ماجه .

وفى رواية للبخارى أن النبى ﷺ أتى بيت فاطمةَ فلم يدخل عليها ، وجاء علىٌّ فذكرتْ له ذلك ، فذكرَه للنبى ﷺ قال : «إنى رأيتُ على بابها سِتْرًا موشياً»[4] فقال : «مالى وللدنيا»فأتاها على ، فذكر ذلك لها ، فقالت (أى فاطمة) :لِيَأْمُرْنى فيه بما شاءَ، قال : «ترُسِلُ به إلى فلانٍ ؛ أهل بيتٍ بهم حاجة» .

ن ـ **إلقاء السلام فى البيت ولو كان غير مسكون** : روى الإمام مالك أنه بلغه إذا دُخل البيتُ غيرُ المسكون يُقال : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين[5].

فتلك أهم الصفات النبوية للبيت المسلم ، كلما التزمت بها الأسرة المسلمة ، كانت أقرب إلى السنة النبوية، وكلما اتصفت بها كانت عوناً لنشوء الطفل نشأة إسلامية نبوية ، وكلما تساعد الأبوان على ذلك ، دل على حبهما للسنة ولأولادهم ،

---

(١) أى : جانبى .
(٢) القرام : ستر رقيق فيه ألوان ونقوش.
(٣) مزوقاً : أى مزيناً .
(٤) مَوْشياً : مزخرفاً منقوشاً .
(٥) من (جـ ـ ن) تم استخراجها بوساطة برنامج الحديث الشريف صخر .

وكلما كانت سرعة التطبيق أكثر دل على زيادة الإيمان ، وكلما كان التصديق بما أخبره الرسول ﷺ عن البيت المسلم ، دل على صدق الحب والإخلاص لرسول الله ﷺ ، فالأمة الإسلامية لا تعرف إلا الجد والاجتهاد فى سبيل العلا ونشر الدعوة : «رهبانية أمتى الجهاد فى سبيل الله » وأولى درجاته تربية الأجيال ، فهم رصيد المستقبل القريب ، وهم رجال الوطن ووزراؤه المقبلون ، وهم معدن الإسلام فى فتوحاته شرقاً وغرباً» . اللهم وفقنا إلى الاتصاف بذلك، وأعنا على اتباع سنة نبيكﷺ، وسَهِّل علينا إقامة دينك فى بيوتنا وحياتنا يا رب العالمين .

س ـ إعمار البيت بالأغذية النبوية : سيأتى معنا فى القسم الثانى – الفصل الثانى: الرعاية الصحية للطفل – موضوع الأغذية التى خصَّها النبى ﷺ بالذكر ، فتطلب هناك وأهمها التمر . روى مسلم فى كتاب الأشربة عن عائشة – رضى الله عنها – قالت : قال رسول الله ﷺ : «يا عائشة ، بيت لا تمر فيه جياعٌ أهلُه ، أو جاع أهله – قالها مرتين أو ثلاثاً». ورواه الترمذى وأبو داود وابن ماجه وأحمد والدرامى.

ع ـ ذبح الأضحية عن أهل البيت فى كل عام : روى الترمذى ـ وقال :حديث حسن غريب ـ **عن** مِخْنَفِ بنِ سُلَيْم قال : كنا وُقُوفاً مع النبى ﷺ بعَرَفاتٍ ، فسمعته يقول : «يا أيها الناسُ ، على كلِّ أهل بيت فى كل عام أُضحيَةٌ وعتَيرةٌ ، هل تدرون ما العتيرة ؟ هى التى تسمونها الرَّجبية»[1].ورواه النَّسَائى وأبو داود وابن ماجه وأحمد.

ف ـ تنوير البيت برواية العلم فيه : نشأ الإسلام فى عهده السرى الأولى فى بيت دار الأرقم بن أبى الأرقم ، يستضيف النبى ﷺ وصحبه المؤمنين ، وتابع صحابته يروون أحاديثه ﷺ فى بيوتهم وبيوت إخوانهم :

فقد روى الإمام أحمد عن عمرة بن مُرَّة قال : حدثنا رجل فى بيت أبى عُبيدة أنه سمعَ عبد الله بن عمرو يُحدِّثُ عبدَ الله بن عمرَ قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ : من سَمَّعَ الناس بعمَله ، سَمَع الله به سامِعَ خلقِهِ ، وصَغَّرَهُ ، وحَقَّرَهُ ، قال : فَذَرفت عينا عبد الله بن عمر .

(١) الرَّجبية : هى العتيرة وهى شاة تذبح فى رجب .

وروى الإمام أحمد بسند حسن عن أبى هريرة ﷺ قال : جاء نِسْوَةٌ إلى رسول اللهﷺ فَقُلْنَ : يا رسول الله ، ما نَقْدِرُ عليكَ فى مجلسكَ مِنَ الرجال ؛ فواعدْنا منكَ يومًا نأتيكَ فيه ، قال : «موعِدُكُنَّ بيتُ فلانٍ وأتاهُنّ فى ذلك اليوم ، ولذلك المَوْعِدِ، قال : فكان مما قال لهُنَّ : يعنى «ما مِنْ امرأةٍ تُقَدِّمُ ثلاثاً من الولدِ تحتَسِبُهُنّ إلا دخلتِ الجنةَ» فقالت امرأةٌ منهُنَّ : أوِ اثنان ؟ قال : «أو اثنان» . ورواه مسلم .

وروى الإمام أحمد بسند صحيح عن أبى المليح يُحَدِّثُ عن أبيه أنه سمِعَ النبىَّﷺ فى بيتٍ يقول : «إن الله عَزَّ وجَلَّ لا يَقْبَلُ صلاةً بغير طُهُورٍ ، ولا صَدَقةً من غُلُولٍ» . ورواه النَّسائى وأبو داود وابن ماجه والدرامى .

وفى العراء وفى البيوت : روى الإمام أحمد بسند حسن قال : حدثنا عبد الصمد، حدثنا شعبة ، حدثنا أبو إسرائيل فى بيت قَتَادةَ قال : سمعتُ جَعْدَةَ وهو مولى أبى إسرائيل ، قال : رأيتُ رسولَ الله ﷺ ورجلٌ يَقُصُّ عليه رُؤْيا ، وذكر سِمَنَه وعِظَمَهُ ، فقال له رسولُ الله ﷺ : «لو كان هذا فى غير هذا كان خيراً لك» .

ص ـ إعمار البيت بالولائم الرمضانية ، وتفطير الصائم : روى الإمام أحمد بسند صحيح عن أنس بن مالك ﷺ قال : كان النبى إذا أفطر عند أهل بيتٍ قال : «أَفْطَرَ عنْدكُمُ الصائمون ، وأَكَلَ طعامكُمُ الأبرارُ ، وتَنَزَّلتْ عليكم الملائكة» . ورواه أبو داود والدرامى .

* * *